9me Année No. 426 | Lundi - 1 - 9 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

م	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة | « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ شعبان سنة ١٣٦٠ — الموافق أول سبتمبر سنة ١٩٤١ » | العـــدد ٤٣٦

الفهـــــرس

تحت ظلال الكافورة

من أحاديث القهوة

— ٢ —

أصبحنا فإذا النيل الجليل يقبل نفّاحاً بالخير فيّاحاً بالنعيم ، تتريّع شطآنه الخضر بالعسجد الذائب ، وتتدفق مجاريه الفيحُ بالكوثر العذب ، وتتنفس أمواجه الصُّهبُ بالتحيات والبركات على بنيه الخلَّص الذين خُلقوا من طينه الحر ومائه الطّهور، وعاشوا على نائله الجم وخصبه الموفور ؛ وكأنما تنفرج كل موجة عن سؤال من هذه الأسئلة التي اعتاد أن يلقيها كل عام على أهله :

— ماذا صنعتم يا بَنيَّ بالذهب الذى نثرته على أرضكم فى العام الذاهب ؟ هل قسَمتموه بينكم على شريعة الله ، وأنفقتموه فيكم على منفعة الوطن ؟ أم هل بقيتم على طباع الوحوش الأوابد ، تتفارسون بالنيلة أو بالحيلة حتى لا تدع المخالب والمجاريف ، شيئاً للفقير أو للضعيف ؟ ألا تزال الأمة مقسومة إلى باشوات و (دلاديل) ، والسياسة قائمة على بهلوانات وتماثيل ؟

ألا يزال أربعة الأخماس من أبنائى ، يعيشون مجهودين على فضلات الخُمس من أغنيائى ، وخيرىَ الفياض لم يدع فى مصر كلباً جوعان ولا ضفدعاً عطشى ؟

أيّ شيء صار مائى السماوى الفرات فى دمائكم يا ساكنى الوادى ؟ أموتاً وقد أحييت الصحارى ؟ أم ذلّاً وقد أعززت الفراعين ؟ أم جهلاً وقد خلقت الحضارة ؟ إلى متى يا بَنى تقابلون برّى بالعقوق ووفائى بالغدر ، وتقبلون من أوليائكم أن يدعوا مائى وثرائى يذهبان فى عباب البحر كما تذهب النفحة الرخية فى ثورة العاصفة وثراىَ مكروب وشعبى جائع ؟

ولكن أسئلته الأبوية السنوية تذهب فى الهواء كما يذهب فيضه فى البحر ، فلا أذن تعى ، ولا لسان يجيب !!

* * *

أخذنا مجلسنا المعتاد من القهوة ، وكان النادون المعتادون قد راعهم ما رأوا من جمال النيل وجلال الفيضان فسكنت ثرثرتهم بعض السكون ، واتجهوا بمشاعرهم إلى النهر الطامى يقابلونه بالمشاشة ويبادلونه التحية . وملكتنا نحن أيضاً روعة المنظر ، فذهلنا ذهول الشاعر المستغرق ؛ وتراءت على مُرْهفى الحس منا بسماتٌ من جلوة الخاطر وطلاقة النفس ؛ وكاد الذهول ينقلب نشوة والحديث يتحول شعراً ، لولا الذباب الذى يقع فى الكأس فيكدر الصفو ، أو المتسول الذى يسقط فى الحديث فيقطع الأنس ! والمتسولون فى المنصورة كالذباب فى رأس البر ، لا يَدَعون للجالس مشغلة إلا بالاستعاذة والطرد . وكان الذى صرفنا عن المنظر الساحر والحديث العذب نوع من هؤلاء المتسولين طريف : رجل كفيف البصر ، وثيق التركيب ، مربوع القامة ؛ على جسمه جلبابٌ محكم التفصيل ، وعلى رأسه عمامة حسنة التكوير ، وفى يده هراوة صلبة العود ؛ كان يقود نفسه على طوار الشارع وهو يقول بصوت جهير رزين ولهجة متزنة آمرة : « طالب من الله : أفطر ، وأشرب القهوة ، ونصف ريال ، وواحد يلمه لى » !

لم يكد هذا الرجل يُبدئ ويعيد ، ويذهب ويجئ ، حتى نهض إليه الجالسون بالقرش بعد القرش حتى أعلنهم أنه استوفى حقه . ثم انصرف عنهم إلى غيرهم دون أن يجود عليهم بما تعود المتسولون أن يسرفوا فيه من مبتَذل الدعاء والشكر !

قلت لصاحبي وقد بدا عليه ما بدا علىّ من العجب العاجب : هذا المتسول واحد من هؤلاء الأوزاع المتبطلين الذين يلحون على الناس بالضراعة والوضاعة ، ويلح الناس عليهم بالنهر والقهر ، فما السر الذى حمل القوم على أن يفردوه بهذه المعاملة ؟

السر فى رأيى هو القوة التى برزت فى هيئته ولهجته . والإنسان منذ كان يُعجب بالقوة ويخضع للقوى بدافع من فطرته ؛ لأن القوة دليل الحياة الصحيحة ووسيلة العيش المعزز ؛ وهى معبودة منذ كانت فى تهاويل الفلك وأفاعيل الطبيعة وتعاجيب الناس . ولولا سلطانها الفطرى على القلوب لما عُبد صنم ولا قدّس طاغية

ربما يتفق لك أن تجادل بعض الناس بالحسنى وتحاجّه بالمنطق ، فيركب هواه ويصر على غيه ؛ فإذا فجأته بالصيحة الغاضبة استكان وسلّم . وإنك لتجد كثيراً من خلق الله يصفقون لعجهات هتلر ، ويصفرون لخطب رزفلت ! وأولئك هم العامة وأشباههم ممن غلبت على نفوسهم عبودية القوة فآمنوا بالحيوان وكفروا بالإنسان ، وانقادوا للعاطفة وغفلوا عن المنفعة !!

الديمقراطية كما تعلم وليدة المدنية العليا . وما كان لمدنى سليم النفس والفكر والإرادة أن يعود إلى عيش القطيع فيلق مقادته إلى رجل مثله يجوز عليه ما يجوز على البهيم من غلبة الشهوة وطغيان الأثرة . ولكن النفس البشرية على ما بلغته من المدنية والثقافة لا تزال فى سرائرها بقايا من نوازع القوة تَفسد بها وتصلح . فهى فى السلم الطويلة والرخاء الوارف تماع فلا يمسكها غير الشدة ؛ وفى الحكم الصارم والسلطان الغشوم تذل فلا يعزها غير الموادة . لذلك كانت الديمقراطية يا صديق كاللحم : كلما اعتل الجسم واختل نظامه ، كان أول ما يشير به الطبيب على المريض ترك اللحم . كذلك كلما انحل الشعب واسترخت قواه واضطرب أمره ، كان أول ما يأمر به الزعيم نَسخ الديمقراطية . ذلك ما كان فى روسيا وإيطاليا وألمانيا وأسبانيا ، ثم كان أخيراً فى فرنسا وطن الجمهورية ومعبد الحرية ومعقل الدستور ! كأنما خُلق الإنسان آكل عشب فاللحم دخيل على طعامه ، وكأنما فطر على الجبر والإكراه فالحرية غريبة عن نظامه !

* * *

وافقنى صديق على جملة الرأى ؛ ثم أخذ بطرَف من الحديث وجذبه بعنف إلى حالنا التى لا تشبه حالاً من أحوال الأمم ! وصديق حديد اللسان جرىء الرأى فلا أستطيع أن أنقل إليك ما قال فى خضوع القطيع لرجل اسمه الباشا ، وفناء الجميع فى فرد اسمه الزعيم

(المنصورة) أحمد حسن الزيات

حياة الأهلين ، وهي مشكلات ذات ألوان وأشكال ، والتمرس بها يخلق القدرة على الإحاطة بما يثور في الصدور من آلام وآمال.

فقول العقاد في سعد :

قبل ميلادك لم يشرف أب ... من بني الريف ولم تنجب بطون

لم يرد به غير تأكيد القول في نباهة سعد ، فهو يريد التنويه لا الاستقراء ؛ وإلا فالشواهد كثيرة على من نبغوا من أبناء الريف قبل سعد زغلول

ومن أطايب هذه القصيدة قول سعد كما صوره العقاد :

صـــال بالجيش « كمال » ومضى ... بذوي القمصان يسطو « موسلين »
وأنا الأمة والجيش معاً ... وأنا السيف جميعاً واليمين
من بيان الصدق جردت لهم ... عدة تصمى الكماة الفاتحين
أنا مصر وهي في سؤددها ... أنا مصر وهي في الأسر سجين
أنا ألقيت على عاتقهـــا ... حملها المطروح بين الآخرين

وهذا البيت جيد جداً ، ومعناه أن سعداً راض الأمة على أن تحمل وحدها عبء الكرامة القومية ، وهو عبء لا يحمله غير من وصل إلى شرف الفهم لقيمة التكاليف الثقال ، ولا تضيع الأمم إلا حين تتوهم أن الحرية مغنم يساق ، وليست مطلباً ينال بالدماء ، وتشقى في سبيله عزائم الرجال

ومن روائع هذه الرثية قول العقاد في شخصية سعد :

يعجب المرء أشخص واحد ... أنت أم شتى شخوص وفئين
ناضر النفس وإن لاحت على ... وجهك السمح سمات وغضون
وغضير القلب لا يألوك في ... صرعات النزع في نبض رزين
تأخذ اللب برأي ثاقب ... وفكاهات عذاب وفنون
تضحك الأطفال في الطيب إلى ... ضحك الأقدار في الجد الرزين
يوم ودعناك ودعت امرأ ... يملأ الدنيا ويبقى ويدين
وأحييك لألقاك غـــداً ... حجراً يعلوه نوار الغصون

وهذا شعر نفيس ... وقول العقاد إن سعداً كان غضير القلب حتى في ساعات النزع ليس خيال شاعر ، وإنما هو حقيقة ؛ فقد شهد الأطباء بأن قلب سعد كان ينبض عند النزع بمثل القوة التي كان ينبض بها وهو في أوقات الصحة والعافية ، وإلى هذه الظاهرة الغريبة أشار الشاعر محمود عماد إذ يقول :

وانهد قلب طالما اعتدت به ... مصر ليوم كريهة وهمام
قلب كقلب الكون يلبث نابضاً ... والموت بارد في الحشا والهام

ولا يتسع المقام للافاضة في محاسن قصيدة العقاد ، وما أشرنا إليه يبين جوهرها الثمين

قصيدة الجارم بك

لم تلق هذه القصيدة في حفلة التأبين ، وإنما نشرها المقطم في اليوم التالي وقال إنها « للأستاذ الشيخ على الجارم المفتش بوزارة المعارف » وهي تبتدئ بهذه الأبيات الجياد :

لا الدمع غاض ولا فؤادك سالي ... دخل الحمام عرينة الرئبال
وأصاب في الميدان فارس أمة ... رفع « الكنانة » بعد طول نضال
رشقته أحداث الخطوب فأقصدت ... حرب الخطوب الدهم غير سجال
الموت أسلحة يطيح أمامها ... حول الجرى وحيلة المحتال
ما كان سعد آية في جيله ... سعد المخلد آية الأجيال
تفنى أحاديث الرجال وذكره ... سيظل في الدنيا حديث رجال
سار كمصباح السماء يحثه ... كر الضحا وتعاقب الآصال

ومضى الجارم فتحدث عن الأيام التي عانتها مصر قبيل الدعوة إلى الاستقلال : فجعل السيف يلمع فوق كل رأس ، وجعل الأرض ترجف والذعر يعصف بالقلوب ، وأسرف فجعل الناس جيماً في أهول من يوم الحساب :

وإذا بصوت رهن مصر زئيره ... غضب الليوث حماية الأشبال
صوت كصور الحشر جمع أمة ... منحلة الأطراف والأوصال
فتطلعت عين وأصغت بعدها ... أذن وهمت ألسن بسؤال
من ذلك الشعشاع طال كأنه ... صدر القناة وعامل العسال
ومن الذي اخترق الصفوف كأنه ... قدر الإله يسير غير مبال
سعد ، وحسبك من ثلاثة أحرف ... ما في البرية من نهى وكمال
ومن السيوف إرادة مصقولة ... طبعت ليوم كريهة ونزال
ومضى يغير لا النصير بخاذل ... أملاً ولا نيل السها بمحال
فكأنه سيف المهيمن خالد ... وكأن دعوته أذان بلال
ما راعه نفي ولا لعبت به ... في حب مصر زعازع الأوجال
كالشعلة الحمراء لو نكستها ... لأضفت إشعالاً إلى إشعال

والسيل إن أحكمت سدطريقه ... دك الحصون فمدن كالأطلال

ومن أجود هذه القصيدة قول الجارم فى صراحة سعد :

خصم شريف نال من خصمائه ... ما نال من إجلال كل موال

عرفوه وضّاح السريرة طاهراً ... شرُّ البلاء خصومةُ الأنذال

إن الشجاعة أن تناضل مُصحراً ... لا أن تدبَّ كفاتك الأصلال

قصيدة مطران

لم تُلق فى حفلة التأبين ، وإنما نشرتْ فى (الأهرام) بعد الحفلة بأيام ، وأذكر أنى قرأت على الدكتور طه حسين جملة منها فى صبيحة اليوم الذى نشرتْ فيه ، وكنا على موعد بداره فى مصر الجديدة لنمضى معاً إلى الجامعة المصرية ، فاتفق أن رأينا الأُستاذ خليل مطران فى الطريق ، فكان من الطبيعى أن يحدثه الدكتور طه عن قصيدته ، فقال الأستاذ مطران ما نصه بالحرف :

« لم أرد أن أقيم مَلْحَمَةً عامة على سعد ، كما صنع جماعة من الشعراء ، وإنما أردت أن أحدد مكانه فى التاريخ »

وكانت القصيدة كذلك ، فقد تحدث مطران عن سعد كما يتحدث المؤرخ ، وإن وشّى حديثه بزخارف البيان

وقد رجعتُ إلى مكتبتى أستهديها تلك القصيدة فبخلتْ ، فرجوتُ الدكتور رشيد كرم أن يتلطف فيحضر نسخة القصيدة من الأُستاذ خليل مطران ، فأحضرها بعد أيام طوال ، ولكن أى قصيدة ؟ هى قصيدة سنة ١٩٣٦ لا قصيدة ١٩٢٧ ، وهى القصيدة التى نظمها مطران عند انتقال رفات سعد إلى الضريح .

وذكّرت الأُستاذ مطران بما كنت أرجوه وقد لقيته فى حفل خاص مع الدكتور على باشا إبراهيم ؛ فقال الجرّاح الأكبر : ألستَ تذكر أنها نشرتْ فى الأهرام ؟ قلت : نعم ! فقال : أطلبها من أنطون بك الجميّل . فقلت : ولكن ذلك يضيع فرصة الحديث عن هذه القصيدة فى هذا الوقت ، وسأقدم مقالى لمجلة (الرسالة) بعد يومين اثنين

ثم نظرت فى القصيدة الثانية فرأيت فيها محاسن جديدة لا أذكر أنى ظفرت بمثلها فى القصيدة الأولى ، فقدّرت أن الشاعر اختارها عن عمد ، لتكون صوته المختار فى تأبين سعد .

ومطران يقسّم قصائده الطوال إلى موضوعات وتلك عادته منذ زمن بعيد ، وقد تحدّث فى قصيدته عن الشؤون الآتية :

« مات سعد وروح سعد باقية — مأتم سعد فى مصر والشرق — ترجمة سعد — سعد فى الصحافة — سعد فى المحاماة — سعد فى القضاء — سعد وزيراً المعارف — سعد نائباً عن الأمة فى الميدين — صورة سعد — سعد فى أحاديثه — سعد الأديب — سعد الخطيب — سعد الزعيم الأكبر ووصف أخلاقه — سعد فى وجه أعداء الوطن سعد فى محاربته — سعد فى منفاه وبعد عودته ثائراً — سعد فى رياسته للحكومة الدستورية — بيت الحياة وبيت الخلود — إلى أم المصريين »

وقد احتفل الشاعر بهذه الموضوعات فتكلم عنها بتفصيل شائق خلاب ، كأن يقول فى سعد الخطيب

قضى الخطيب الذى كانت فصاحته
حالاً فحالاً هى الآلاء والنعم[1]

حدّث عن البلسم الشافى يمرّ به
على الجراح قد استشرت فتلتئم

حدّث عن البلبل الغرّيد مختلفاً
بين الأفانين من تطريبه النغم

حدث عن الضيغم الساجى يثور به
تحرُّشٌ يحمى الأشبال لا القرَم

حدث عن السيل يجرى وهو مصطخبٌ
حدث عن النار تعلو وهى تحتدم

حدث عن البحر والأرواح عاصفةٌ
والسحب عازفة والفُلك ترتطم

وكأن يقول فى وصف أحاديث سعد :

قضى الذى كان ناديه ومحضره ... قلادةً لكرام الناس تنتظم

إذا تكلم أصغت كل جارحةٍ ... إليه لا الكدّ يثنيها ولا السأم

دُرٌّ يُسلسله فيما يفوه به ... فالقلب مبتهجٌ والعقل مغتنم

كأن جلاّسه مهما عَلَوْا رتباً ... راجو صلاتٍ عليهم تنثر النعم

ويرى مطران أن شمائل سعد تعجز المؤّبنين فيقول :

---

(١) النعم بالعين المهملة جمع نعمة ، وكذلك وردت فى القصيدة منشورة بجريدة « كوكب الشرق » ولم يصححها الشاعر ، وأحب أن أقرأ « النقم » بالقاف جمع نقمة ، ليظهر المراد من قول الشاعر « حالا فحالا » ومعنى ذلك أن خطب سعد تكون حينا من الآلاء ، وتكون حينا من النقم ، وبقية الأبيات تؤيد هذا التصحيح .

يا من يؤبن سعداً ، مَن تؤبنه
هو الهدى والندى والبأس والشمم
هيهات توصف بالوصف الخليق بها
تلك الفضائل والآداب والشيم
ما القول في دوحة فينانة سقطت
ومن أماليدها الإحسان والكرم
كأنها غيضة مجموعة نشبت   فيها المنايا تُشنّها وتخترم
لكنني أستعين الله معتذراً   عن القصور وبعض العجز لا يصم

ومع هذا الاعتذار الطريف فقد أبدع مطران في رثاء سعد كل الإبداع

أما بعد . فقد رأى القراء أن الشعراء الذين تحدثنا عنهم قد اتفقوا في كثير من المعاني ، وكان من الممكن أن نعقد الموازنات فنعرف كيف سبَق هذا أو تخلّف ذاك ، كأنْ نُشرّح ما قالوا في وصف خطابة سعد ، وكأن ننظر كيف صوروه في المحاماة والقضاء

فمتى نوازن بين هذه القصائد الجياد ؟

ومتى نبين المعاني التي انفرد بها بعض أصحاب هذه القصائد ؟

زكي مبارك

كيف يكتب التاريخ

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ٣ —

أول مسألة تواجه المبتدئ في دراسة التاريخ هي مسألة اختيار موضوع البحث ؛ والمسألة تختلف بالنسبة للطالب الذي يبدأ دراسته الجامعية عنها بالنسبة للباحث الذي أنهى مرحلة التعليم المدرسي وبدأ يتطلع إلى الدراسة العلمية المنتجة . فالطالب المبتدئ في التعليم الجامعي لا ينتظر منه عادة أن يقوم ببحث أصلي ، أو أن يكشف عن مجموعة وثائق لم تكن معروفة من قبل ، أو أن يستخلص حقائق تاريخية مجهولة ؛ وإنما المطلوب منه أن يتوفر على تحصيل وسائل الإعداد والتدريب الذي يؤهله للعمل العلمي في المستقبل . فالطالب أثناء الدراسة الجامعية يختار – بإرشاد المدرس – بعض الموضوعات المدروسة ، لا لكي يبحثها من جديد وإنما للتمرين والتدريب والاقتباس ؛ وهو في هذا يشبه دارس الكيمياء أو الطبيعة الذي يقوم بعمل التجارب التي ثبت صحتها نهائياً لكي يتدرب ويعرف ما عمله غيره من قبل . فطالب التاريخ يستطيع أن يختار موضوعات متنوعة في الفروع التي يدرسها . ويمكنه أن يبحث بعض الموضوعات العامة ، كأن يختار مثلاً كتابة ملخص عام عن تاريخ نابليون في حيز محدود . ويعتمد على القليل من المراجع الأساسية عن الموضوع التي يأخذها من المدرس أو التي يستخرجها بنفسه من كتب المراجع . فيقتبس ويدوّن مذكرات من هذه المراجع . وينبغي أن يلاحظ وضع أرقام الصفحات لكي يمكنه الرجوع إلى بعض النقط عند الضرورة ؛ ثم يقارن ويمزج بين المعلومات التي جمعها ، ثم يعرض بإيجاز نشأة نابليون وتعليمه وشخصيته وتدرجه في المناصب ، وحروبه في الشرق وفي أوربا ، وحكومته وإدارته ، وظروف أوربا في عهده ، ووقوف انجلترا في سبيله ، ثم سقوطه وحياته في المنفى . ويعطي الطالب ملخصاً وافياً لكل هذه النواحي . وهو في هذه الحالة سيتجاوز عن الكثير من التفصيلات والحركات المحلية . وسيكتفي بالمسائل المهمة البارزة فقط، سواء أكانت حوادث الحروب أم مشاكل السياسة الداخلية أو الخارجية . وبعد ذلك يختار الطالب جزءاً من الموضوع العام الذي ألم به مثل موضوع حملة نابليون على الروسيا في سنة ١٨١٢ ، فيبحث الظروف التي أدت إلى تلك الحملة ، ويتتبع سيرها والحركات الحربية التي وقعت ، ووصول نابليون إلى موسكو ، ثم ارتداده وفشله ، وما ترتب على ذلك من الآثار في فرنسا وفي أوربا . وهو في هذا سيبحث موضوعاً أكثر تحديداً من الموضوع السابق ، وإلمامه بتاريخ نابليون العام سيساعده على فهم الحملة الروسية . ثم يتدرج إلى بحث نقطة تاريخية محددة بالذات مثل معركة واترلو ، فيدرس في بعض المراجع العامة الظروف التي أدت إلى هذه المعركة ويوازن بين القوى الحربية لكل من فرنسا وانجلترا وبروسيا ، ثم يدرس خطط المعركة ، ويتتبع العمليات الحربية ، ويوضح كيف هزم نابليون ؛ ثم يشرح النتائج التي ترتبت على ذلك . ويمكن للطالب

أن يطبق هذه الطريقة فى نواح مختلفة من التاريخ . وهذا التدريج نافع جداً لأنه سيجعله يدرك فائدة الإلمام بتاريخ العصر أو الموضوع العام ؛ وأثر ذلك واضح فى فهم النواحى الخاصة ، وفى التغلغل فى بحث الموضوعات الجزئية . ويسيطه هذا التدرج ضرورة الاهتمام بالجزئيات المعينة مع عدم إغفال الروح العام والنظرة العامة عن العصر الذى يبحث فيه . فلا بد من العناية بهاتين الناحيتين معاً على اتساق وتوافق . ثم يدرس الطالب بعض الوثائق الأصلية المطبوعة لبحث موضوع معين ؛ كما يدرس بإرشاد الأستاذ طائفة مختارة من الوثائق المخطوطة ، ويستخرج منهـا بعض الحقائق اللازمة لبحث نقطة معينة . وهذا كله كتدريب وإعداد للمستقبل . وما ينطبق على الطالب فى الجامعة ينطبق على أى شخص لم تتح له فرصة التعليم الجامعى فى بلد كمصر ويشعر فى نفسه بالميل إلى دراسة التاريخ وبحثه

وعند ما يتم الطالب مرحلة التعليم العالى ويحصل على درجة جامعية ، ويرغب فى متابعة البحث التاريخى، فإن اختيار موضوع البحث يبدو بشكل مخالف . فهو فى هذه الحالة لا يستطيع أن يبحث أى موضوع كان ؛ لأن المطلوب أن يقوم ببحث أصلى Original ، ويكشف عن حقائق تاريخية جديدة ؛ فلا يكون البحث بناء على الرغبة فقط ، وإنما يكون بناء على ما يجب أن يبحث ، أو ما الذى يمكن أن يبحث . والباحث المبتدئ قد يثير اهتمامه أثناء دراسته بعض المسائل فى تاريخ اليونان القديم أو فى تاريخ العصور الوسطى أو فى تاريخ الروسيا مثلاً . فللمضى فى بحث إحدى هذه النواحى ينبغى أولاً أن يعرف العلوم المساعدة الرئيسية المرتبطة بالفرع الذى يرغب دراسته . وإذا لم يكن يعرفها فينبغى أن يقرر بصراحة من أول الأمر : هل هو مستعد لأن يتعلمها أم لا ؟ هل هو مستعد لأن يتعلم اللغة اليونانية القديمة أو لاتينية العصور الوسطى أو اللغة الروسية مثلاً ؟ وهل هو مستعد لأن يتقن ما يتصل بهذه اللغات من العلوم المساعدة الضرورية مثل علم النقوش ، وعلم قراءة الخطوط ... فإذا لم يكن مستعداً لذلك فينبغى عليه أن يعدل عن المضى فى بحث إحدى هذه النواحى التى تعوزه فيها الوسائل الضرورية ، ويمكنه أن ينتقل إلى مجال بحث آخر يعرف أصوله وقواعده

والمبتدئ فى البحث التاريخى طبقاً للطرق العلمية الحديثة ، ينبغى أن يراعى بعض الأمور . فيجب أن يختار ناحية أو نقطة محددة لكى يستطيع أن يتفرغ لدراستها وإخراج جديد عنها ؛ وتكون هذه النقطة جزءاً من موضوع عام لكى يتسع المجال أمام الباحث لمتابعة دراساته فى المستقبل . فمثلاً لا يصح للباحث أن يتخذ تاريخ الدولة الأيوبية بأكمله موضوعاً للبحث ، لأنه موضوع طويل . فالأيوبيون قد حكموا مصر من سنة ١١٦٩ إلى ١٢٥٠ م . ودراسة هذه الفترة دراسة عميقة مع كشف حقائق جديدة عنها لا يمكن تحقيقها فى سنوات قلائل . وإذا أصر الباحث على القيام بهذه الدراسة ، فإنه لن يأتى بأكثر من تلخيص ما هو موجود فى المراجع المعروفة . أما إذا خصص وقته وجهده فى نفس هذه السنوات القلائل لبحث ناحية معينة بالذات ، مثل تاريخ صلاح الدين أو تاريخ الملك العادل أو تاريخ التجارة فى عهـد الدولة الأيوبية ، فإنه يستطيع أن يسبر غور الأرض المجهولة ويكشف عن حقائق تاريخية جديدة . وبديهى أن الوقت والجهد اللذين يخصصان لفترة قصيرة يأتيان بنتائج علمية أعمق مما لو خصصا لفترة طويلة . ووضع مؤلف علمى دقيق عن عصر الدولة الأيوبية بأكمله لا يمكن أن يتم إلا بعد دراسة جزئيات هذا العصر وبعد كشف كل الحقائق التى يمكن الوصول إليها . وما يقال عن عصر الدولة الأيوبية ينطبق تماماً على أى عصر آخر . وكذلك ينبغى أن يلاحظ الباحث عند التفكير فى اختيار موضوع البحث ميله واستعداده ، سواء للناحية الحربية أو السياسية أو الاقتصادية أو الدينية أو الفنية . ولا داعى لأن يقسر الباحث نفسه على ولوج ميدان لا يميل إليه ؛ وعلى العكس فإن طَرْق الميدان الذى يميل إليه يجعله أقدر على العمل وأقوى على كشف الحقائق . والمرحلة الأخيرة التى ينبغى أن يمر خلالها الباحث قبل أن يختار نهائياً موضوع البحث من الناحية العملية تتلخص فيما يلى :

هل الموضوع الذى فكر فيه يحتاج إلى أن يبحث ؟ ألم يكن قد بحث من قبل مطلقاً ؟ أو هل بحث بطريقة غير كافية

وهل المادة الأصلية الموجودة عنه لم تدرس ولم تنقد كما ينبغى ؟ أو هل قد وجدت أو يمكن أن توجد مادة أصلية جديدة تبرر إعادة بحث الموضوع من جديد ؟ فإذا توفرت بعض هذه الشروط فمعنى ذلك أن الموضوع يحتاج إلى الدرس والبحث . ولكن كيف يمكن للباحث أن يثبت توفر بعض هذه الشروط ؟ الطريقة العاجلة هى أن يبادر باستشارة أحد الإخصائيين فى ميدان البحث التاريخى المعين ، سواء فى البلد الذى يعيش فيه أو فى أى بلد آخر بواسطة المراسلات . وإذا تعذر الوصول إلى ذلك الإخصائى فعلى الباحث أن يجيب على هذه الأسئلة بنفسه . فلكى يعرف الباحث المراجع العامة والخاصة التى ظهرت عن العصر المعين ، وهل اعتمدت على كل الأصول المعروفة فإنه يلزمه الاسترشاد بفن البيبليوغرافيا . وللتأكد من أن الأصول التاريخية الموجودة قد نقدت واستخدمت بطريقة علمية صحيحة يدخل فى باب نقد الأصول والمصادر ؛ ومسألة وجود مادة أصلية جديدة عن الموضوع تعرف عن طريق البحث والعمل فى دور الأرشيف مثلاً . وسوف نعرف أشياء عامة عن هذه النواحى فى هذه المقالات . وإذا لم تتوفر بعض هذه الشرط السالفة فلا معنى مطلقاً للاستمرار فى البحث بدون جدوى عن ذلك الموضوع . ولا بد إذاً من العدول عنه إلى موضوع آخر يمكن الإتيان فى بحثه بجديد

وما هى الأعمال العلمية والأبحاث التى ينبغى أن تعمل فى مصر ؟ نحن فقراء ومتأخرون جداً فى ميدان البحث التاريخى بالمعنى العلمى الحديث . والغرب قد سبقنا بمراحل هائلة جداً فى كل أدواره مثل طبع الفهارس ووضع البيبليوغرافيات المتعددة الأنواع ، وجمع الأصول ، ونشر بعضها فى مجموعات ضخمة ، ووضع المؤلفات التى لا حصر لها عن مختلف أنواع التاريخ فى جميع عصوره عن تاريخ العالم كله ، وعن تاريخ كل من الدول والشعوب على حدة ، سواء فى ذلك المراجع التى تتناول التاريخ العام ، أو المراجع التى تبحث عصوراً معينة ونواحى خاصة فى تاريخ كل من هذه الدول والشعوب . فأين نحن من كل هذا ؟ ؟ صحيح أن بعض الباحثين من المصريين قد وضعوا أبحاثاً عن بعض مسائل التاريخ المصرى وغير المصرى نتيجة جهود فردية[1] ولكنها قليلة جداً ؛ ونحن عالة على علماء الغرب الذين درسوا نواحى متعددة من التاريخ المصرى فى عصوره المختلفة . ولكن هذه الدراسات المتعلقة بمصر سواء من جانب المصريين أو الأجانب لا تكفى مطلقاً . وقبل أن نفكر فى اختيار موضوعات للبحث فى تاريخ مصر ينبغى أن نقوم بأعمال تمهيدية واسعة النطاق وأساسية جداً ، لكى يسير العمل سيراً منتظماً وفعّالاً . وأول هذه الأعمال التمهيدية القيام بطبع كتالوجات وفهارس لدور الكتب ودور الأرشيف فى مصر بالطرق العلمية الحديثة — أى بتبويبها وتقسيمها ووضع الفهارس لها — مما هو غير متوفر تماماً فى الموجود منها حالياً ، فضلاً عن غير الموجود أصلاً . ثم وضع

(١) من بين المؤلفات التى وضعها الباحثون المصريون نجد :

١ — الأمير عمر طوسون : مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن . الأسكندرية ، ١٩٣١

٢ — الأمير عمر طوسون : الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم . الأسكندرية ، ١٩٣٦

٣ — الأمير عمر طوسون : تاريخ مديرية خط الاستواء ؛ ٣ أجزاء . القاهرة ، ١٩٣٧ ... الخ

٤ — حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر . القاهرة ، ١٩٣٢

٥ — » » » : تاريخ الاسلام السياسى ؛ ج ١ . القاهرة ١٩٣٥

٦ — أحمد أحمد الحتة : الفلاح المصرى فى عهد محمد على . القاهرة ، ١٩٣٤ (لم يطبع بعد)

٧ — أبو الفتوح رضوان : تاريخ المطبعة الأميرية . القاهرة ، ١٩٣٦ (لم يطبع بعد)

٨ — عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر محمد على . القاهرة ، ١٩٣٨

٩ — عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عهود عباس وسعيد واسماعيل . القاهرة ، ١٩٤١ . (لم يطبع بعد)

١٠ — Chafik Ghorbal : The Beginnings of the Egyptian Question & the Rise of Mehmet Ali. London, 1928

١١ — M. Sabry : L'Empire Egyptien sous Muhammed Aly. Paris, 1930

١٢ — M. Sabry : L'Empire Egyptien sous Ismail. Paris, 1933

١٣ — M. F. Shukry : The Khedive Ismail & Slavery in the Sudan. Cairo, 1938

١٤ — Zaki M. Hassan : Les Tulunides. Paris, 1933

١٥ — A. S. Atiya : The Crusade of nicopolis. London, 1934

١٦ — « « : The Crusade in the Later Middle Ages. London, 1938

١٧ — Ibr. Noshy : The Arts in Ptolemaic Egypt. London, 1937

١٨ — H. Osman : Fakhr Ad-Din II., Emiro del Libano e le sue Relazioni con l'Occidente, con Documenti inediti. (V. I: : 1572-1618). Roma, 1938. (لم يطبع بعد)

فهارس وقوائم للكتب والمخطوطات التى تناولت تاريخ مصر فى العصور المختلفة ؛ ثم جمع المخطوطات التاريخية ونشر بعضها نشراً علمياً حديثاً . وصحيح أن بعض الأفراد وبعض الهيئات مثل : المطبعة الأميرية ، ودار الكتب المصرية ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر، تقوم بنشر بعض الأصول التاريخية[1] . ولكن لم تنشر أغلبها النشر العلمى الواجب لخلوها من الفهارس مثلاً .

ولقد عنى المغفور له الملك فؤاد الأول بجمع الكثير من الوثائق المتعلقة بتاريخ مصر فى القرن التاسع عشر من محفوظات مصر ومن بعض دور الأرشيف فى أوربا وأمريكا ، وقد حُفظت فى أرشيف عابدين ؛ كما عنى بنشر بعض مجموعات من هذه الوثائق مثل مجموعة دوان وسامّاركو[2] ومجموعة الفرمانات السلطانية[3] وكذلك أشرف جلالته على وضع مؤلفين عن تاريخ مصر العام باللغة الفرنسية، واشترك فى كتابتهما طائفة من العلماء الأجانب[4] ؛ ولكن هذا لا يعنى أن العمل قد انتهى ، فهناك عشرات الألوف من الوثائق لا تزال مجهولة عن نواح هامة فى تاريخ مصر منذ العهد العثمانى حتى أوائل عهد محمد على الكبير فى دار المحفوظات المصرية بالقلعة ، ويقابلها آلاف الوثائق عن هذا العهد محفوظة فى دور الأرشيف الأوربية ، وأغلبيتها الساحقة لم تمسها يد

(١) يقوم الدكتور مصطفى زيادة بنشر كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى منذ عدة سنوات . وقد أنجز منه الجزء الأول فى ثلاثة أقسام، وهذا هو النمط الذى ينبغي أن يكون عليه نشر أصول التاريخ فى مصر

(٢) من مجموعات الوثائق التى نشرت عن تاريخ مصر الحديث نجد :

١ — Douin, G. et Mme. E. C. Fawtier-Jones : L'Angleterre et l'Egypte (1801-1803) Le Caire, 1929

٢ — Douin, G. : L'Egypte de 1802 à 1804. Le Caire, 1925 ... etc.

٣ — Sammarco, A. : Il Regno di Mohammed Ali nei documenti italiani inediti. V. I. : L'Egitto nell'anarchia (1801-1804) Cairo, 1930 — V. VIII : Genesi e primo svolgimento della Crisi egiziano-orientale del 1831-1833. Roma, 1931 ... etc.

(٣) مجموعة الفرمانات الشاهانية الصادرة إلى ولاة مصر وخديويها (١٥٩٧ — ١٩٠٤) . القاهرة ، ١٩٣٣ . ولها تلخيص وتعليق باللغة الفرنسية :

Haïm Nahoum : Recueil de Firmans Impériaux Ossomans adressés aux Valis et aux Khédives d'Egypte. (1597-1904) Le Caire, 1934

يقول الأستاذ L. Bonelli بمعهد الشرق فى نابلى إنه كان قد درس ولخص هذه الفرمانات ، ولم يتم إصدار المجموعة لظروف خاصة . راجع مجلة : Oriente Moderno. Roma. gennais, 1935. pp. 42-44

(٤) 1 — Précis de l'Histoire d'Egypte. 4 vol. Le Caire, (1932 — 1935)

2 — Histoire de la Nation Egyptienne (Hanotaux). 7 vol. Paris, 1931-1940

إنسان بعد . فلا بد من حصر وجمع وتبويب هذه الوثائق فى مصر وفى الخارج ؛ ولا بد من نشر بعض أجزاء منها نشراً علمياً . وما عمله الغرب بخصوص نشر مجموعات ضخمة من الوثائق التاريخية[1] ، وما عمله ذلك الرجل المقيم فى ظلال الأرز ، والجدير بالإعجاب والتقدير ، من نشر بعض مجموعات من الوثائق عن تاريخ سوريا[2] كفيل بأن يجعلنا نجدّ ونسعى لنشر وثائقنا وأصولنا التاريخية

وبعد إتمام بعض هذه الأعمال التمهيدية يمكن أن يتقدم وأن ينشط البحث التاريخى فى مصر بدرجة مرضية . والمؤلفات التى تكتب قبل أن تتم بالنسبة إليها هذه المراحل التمهيدية ، مع أنها جديرة بالتقدير ، لا يمكن أن تعتبر آخر كلمة فى الموضوع الذى تتناوله . وأرى أنه ينبغى على الباحثين أن يُتبعوا أبحاثهم بنشر المهم من الوثائق التى اعتمدوا عليها فى مجلد أو فى مجلدات خاصة ، لأن هذا العمل لا يقل - إن لم يزد - فى قيمته العلمية عن البحث التاريخى نفسه . وبعد ذلك تواجهنا ثغرات هائلة فى مراحل التاريخ المصرى ينبغى أن تدرس وتبحث على مدى الزمن . مثل تاريخ المدن المصرية ، وتاريخ الأزهر والمساجد ، وتاريخ الكنائس والأديرة ، وتاريخ التجارة فى مصر ، وتاريخ مصر المالى والإدارى فى العهد العثمانى ، وتاريخ على بك الكبير ، وتاريخ الحركة العرابية ...

وهذه الأعمال الخطيرة لا يمكن أن تؤديها الجهود الفردية ، ولا يمكن أن يقوم بها جيل واحد من الباحثين . وللسير فى سبيل تحقيقها بالتدريج من الضرورى جداً إنشاء معهد أو جمعية للدراسات التاريخية ، كما هو الحال فى الغرب ، وتزود بالمال اللازم ، وتضم شتات المشتغلين بالبحث التاريخى فى مصر ، وتنظم أعمالهم وتوحد جهودهم للانتاج العلمى الصحيح . ومن اللازم أيضاً أن نبدأ بإصدار مجلة للعلوم التاريخية ، فإنه توجد

(١) من مجموعات الوثائق فى التاريخ الأوروبى نجد :

١ — Calender of state Papers. 300 vol. crica. London.

٢ — Collection de documents relatifs à l'Histoire de France. 300 vol. circa Paris, 1835...

٣ — Sanuto, M. : I Diarü. 58 vol. Venezia, 1879...

(٢) مجموعات الوثائق التى نشرها الدكتور أسد رستم :

١ — الأصول العربية لتاريخ سوريا فى عهد محمد على باشا ؛ ٥ أجزاء بيروت ، ١٩٣٠ - ١٩٣٣

٢ — المحفوظات الملكية المصرية : بيان بوثائق الشام . المجلد الأول بيروت ، ١٩٤٠ .

٢ — كليلة ودمنة

نقد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

٧ — ١٧٩ : ٤ : (فأسعفنى بِطِلبتى) بكسر الطاء وهى صحيحة . لكن العرب يختارون فى مثل هذا « الطَّلِبة » بفتح الطاء وكسر اللام . ومنه حديث نقادة الأسدى : « قلت : يا رسول الله ، اطلب إلىّ طَلِبة ، فإنى أحب أن أُطْلِبَكها »

٨ — ٢٦١ : ٤ : « إن الملوك وغيرهم جُدُرٌ أن يأتوا الخير إلى أهله » . وقد أفسد هذه العبارة أمران : أما الواحد ، فأن (جُدُر) جمع (جِدار) بالكسر ، وهو الحائط ؛ والصواب : (جُدَراء) ، أو (جديرون) ، وهما الجمعان اللذان يجمع عليهما (جدير)[1] ؛ وجمع (فَعيل) صفة على (فُعُل) بضمتين نادر سمع منه : نذير ونُذُر ، وجديد وجُدُد (بدالين) ، وسديس وسُدُس[2]

وأما الثانى ، فأن (أتى) إذا تعدّى إلى المفعول لا يكون بمعنى الإعطاء ، بل يكون بمعان أخر منها الفَصْل : أتى الأمرَ والذنبَ : فَعَلَه ؛ ومنها الهدم والقلع ، قال الله تعالى : « فأتى اللهُ بُنيانَهم من القواعد »[1] . ومنها الانتساب ، أتى الرجل القوم : انتسب إليهم وليس منهم ، فهو أَتِىٌّ

وأما الذى هو بمعنى الإعطاء ، فهو الفعل (آتى) على زنة أفعلَ . ومنه قول الله تعالى : « آتِنا غداءَنا »[2] ؛ وقوله : « وآتيناهُ الحكمَ صبيًّا »[3] ؛ ومضارعه (يؤْتى) على يُفعِل . وفى كتاب الله تعالى : « يُؤْتى . يؤتون . يؤتين . يؤتيه . سيؤتينا . يؤتكم . يؤتيهم . تؤتونهن . وتؤتوها . نؤتيه . نؤته . نؤتها . يؤتهم . سنؤتيهم »[4] ؛ وإنما سقت هذه الشواهد لأنبه على أن ما ورد فى اللسان من قوله[5] : « والإيتاء : الإعطاء . آتى يُؤاتى إيتاء ، وآتاهُ إيتاء أى أعطاه » وهمٌ أو تصحيف ؛ والصواب : آتى يُؤتِى

فوجه عبارة ابن المقفع إذن : « جُدراء أن يُؤتوا الخير إلى أهله » .

ولعل السر فى هذا التحريف أن طائفة من علماء الرسم الأقدمين كانوا يرسمون الهمزة ألفاً فى كل حالة ، وزعيمهم فى ذلك أبو زكريا الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ . وجمهور علماء الرسم يسمون أولئك « أصحاب التحقيق » ، أى تحقيق الهمزة ؛ وأما الكتابة الغالبة التى نأخذ نحن بها الآن ، فيسمى أصحابها : « أصحاب مذهب التخفيف والتسهيل » ، وهم يجرون على لغة أهل الحجاز فى تخفيف الهمزة وتسهيلها ، ويعبرون عنها بصور تسهيلها : من الألف والواو والياء[6] . فلعل هذه بقية من بقايا رسم التحقيق

٢ — فى الضبط النحوى

١ — ص ١٤ س ٧ : (ولكل علّة مَجرَى) ، صوابه : (مجرًى) بالتنوين ، وهو تحريف طبع

٢ — ١٨ : ١١ : (فيعلم سرّ نفسه وما يضمر عليه قلبَه) بنصب (قلبه) وجعلها مفعولاً ليُضمر ، وأضمر يُضمر بمعنى أخفى يخفى ، فما يكون المعنى فى أن يخفى قلبَه عليه ؟ الصواب :

(١) اللسان والقاموس وكتاب سيبويه (٢ : ٢٠٧ — ٢٠٨) .
(٢) سيبويه ، وهمع الهوامع (٢ : ١٧٥ طبع ١٣٢٧)

(١) سورة النحل ٢٦
(٢) سورة الكهف ٦٢
(٣) سورة مريم ١٢
(٤) انظر فلوجل Flügel س ٣ ، أو مصباح الاخوان س ٩
(٥) لسان العرب (١٨ : ١٧ س ١٦)
(٦) المطالع النصرية ٦٤ — ٦٥ ، ٨٩ ، ١٤٩ طبع ١٢٧٥ وهمع الهوامع (٢ : ٢٣٩) وأدب الكاتب ١٩٧

فى الغرب مجلات عديدة فى التاريخ العام ومجلات خاصة لفروع التاريخ المختلفة[1] . ولا بد من جهد متواصل وتضافر وإخلاص فى العمل ، وبعد عن الزخارف وأبهة المناصب ؛ ونحن فى أشد الحاجة إلى إيجاد بيئة علمية صحيحة تعمل للعلم وحده ، وتضع تقاليد وطيدة ، وتقوم ببعض الواجب نحو العلم والتاريخ .

(يتلى) حسن عثمان

استدراك : قد ورد خطأ في المقال الماضى بالعدد ٤٢٤ س ١٠٣١ فى هامش ٢ ، والصواب هو أن الدكتور حسن ابراهيم حسن والأستاذ عبد الحميد حسن قد اشتركا في ترجمة كتاب أدولف جروهمان من أوراق البردى العربية بدار الكتب ، وليس فى كتاب Moritz

(١) من المجلات التاريخية فى الغرب نجد :
١ — American Historical Review. New York, 1879
٢ — English Historical Review. London, 1886...
٣ — La Revue des Questions Historiques, 1866...
٤ — Rivista Storica Italiana. Torino, 1884...

(قلبُـه) بالرفع على الفاعليـة ؛ لأن القلب هو الذى يضمر الأسرار والنوايا

٣ — ٤١ : ١٤ : (وشبّهت الجرذين بالليل والنهار ، وقرضُهما دأْبُهما فى إنفاد الآجال) يصح أن تقرأ : (وقرضَهما دأْبَهما) باستمرار التشبيه ، و (شبّه) من الأفعال التى تتعدى إلى مفعولين . وفى اللسان : (شبّهه إياه وبه) . ومنه قول الشمردل[1] :

يُشبِّهُون مُلوكاً فى تَجِلّتهم وطول أنضية الأعناق والأُمم

وقول عبد بنى الحسحاس[2] :

فشبّهنى كلباً ولست بفوقه ولا دونه إن كان غير قليل

وقد سبق استعمال ابن المقفع لهذه اللغة فى ٣٥ س ٤ : (وشبّهتهما الْجُنّةَ الحريزةَ) . وعلى ذلك يسوغ أيضاً أن تضبط كلمة (العسل) فى السطر بعدها بالنصب

٤ — ٦٨ : ١٤ — ١٦ : (قال دمنـة : حدّثنى الأمين الصادق عندى أن شنزبة خلا برءوس جندك فقال لهم : قد عجمت الأسد ، وبلوت رأيه ومكيدته وقوته ، فاستبان لى فى كل ذلك ضعف ، وإنه ـ بكسر الهمزة ـ كائن لى وله شأن . وأنه ـ بفتح الهمزة ـ لـما بلغنى هذا عرفتُ ... الخ) ، يصح أيضاً : (وأنه كائن) بفتح أنّ ، عطف على فاعل (استبان) . ويتعيّن : (وإنه لـما بلغنى) بكسر الهمزة ، عطف على مقول دمنة ، أى وقال دمنة : إنه لما بلغنى ... الخ

٥ — ٩٦ : ٣ (وكذلك الجهّال لم يزالوا يستثقلون عقلاءهم واللوماء كرامهم) . صوابه : (واللؤماءُ) بالرفع . وهذا تحريف طبع

١٢٨ — : ٤ (فأعادت ذلك عليه مراراً — كلُّ ذلك لا يلتفت إلى قولها) . ولا وجه للرفع هنا . والوجه (كل ذلك) بالنصب على الظرفية الزمانية . ولا يصح أن تكون : (كل) مبتدأ ، وذلك لأن الضمير العائد عليها محذوف تقديره (فيه) . والبصريون يمنعون حذف الضمير العائد على لفظ (كل) إذا كان مبتدأ[3] ولذلك حكموا بشذوذ قراءة ابن عامر فى سورة الحديد[4] (وكلٌّ وعدَ الله الحُسنى) ، وقراءة باقى السبعة : (وكُلاًّ) بالنصب[1] . وابن عامر قرأ نظير هذه الآية من سورة النساء ٩٥ (وكُـلاًّ وعدَ الله الحُسنى) بالنصب كالجماعة[2]

٧ — ١٦٠ : ٢ (إلى مكان كذا وكذا) . تكرار (كذا) مع العطف أحد استعمالين صحيحين . والوجه الآخر الإفراد ، أى (مكان كذا) . وبهذا وردت فى ص ٨٣ من طبعة بولاق

قال ابن هشام فى رسالته التى صنفها فى معنى هذه الكلمة : كذا وكذا يكنى بها عن غير العدد . وفيها حينئذ الإفراد والعطف ، نحو مررت بمكان كذا ، ومررت بمكان كذا وكذا . ويكنى بها عن العدد وليس فيها إلى العطف ... وقال ابن مالك : سمع فيها العطف وعدمه كالأولى ، لكنه قليل[3]

وفى شرح الأشمونى : (تأتى كذا هذه ـ أعنى المركبة ـ كناية عن غير العدد وهو الحديث مفردة ومعطوفة)

فـفُهم من هذين النصين أن الإفراد فى المكنى بها عن غير العدد مقدم على العطف . لكن الرضى قدم العطف على الإفراد فى الحالين

قال[4] : (وورود كذا كذا مكرراً مع واو نحو كذا وكذا أكثر من إفراده ومن تكرره بلا واو ، ويكنى بها عن العدد نحو عندى كذا درهما ، وعن الحديث نحو قال فلان كذا)

وقد التزم ابن المقفع لغة العطف ، فقد جاء فى ١٦٨ س ١٤ (إن اليوم بمكان كذا وكذا) وفى ٢٢٤ س ٨ : (فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا) ، وفى ٢٥٨ س ١٣ (فقال كذا وكذا)

٨ — ١٧٩ : ٢ (ولم أذكر ما ذكرت ألا أكون أعرف منك الكرم والسمة) . الوجه : (إلا لكونى أعرف منك) الخ

٩ — ١٩٩ ، ٣ : (لم تدر أيُّهما تأخذ) برفع (أيُّهما) والصواب (أيَّهما) بالنصب ؛ فإنها مفعول مقدم لتأخذ ؛ وليس من باب الاشتغال و (أى) هنا استفهامية ، ولذا علقت الفعل القلبي قبلها عن العمل فيها . ولا يجوز أن تكون (أى) هنا موصولة بنيت على الضم ، ولو فرضنا أنها موصولة فإنها لا تبنى عليه إلا فى حالة واحدة ، وهى إذا ما أضيفت وحذف صدر الصلة . وليس فى الكلام صدر صلة محذوف ؛ فإنها جملة فعلية

(١) الحيوان (٣ : ٩٢) والكامل ٣٠ ليبسك والقالى (١ : ٢٣٨)

(٢) الحيوان (١ : ٢٠٥)

(٣) الصبان (١ : ٢٠٩ بولاق ١٢٨٧)

(٤) سورة الحديد ١٠

(١) ابن الفاصح ٣٣٨ وغيث النفع ٣٢١

(٢) انظر المغنى (كل) وكذا المصدرين السابقين

(٣) شرح درة الغواص ١٤٣

(٤) فى شرح الكافية (٢ : ٥٩)

قال الرضى(١) : (صلتها إما اسمية(٢) أو فعلية . والفعلية لا يحذف منها شيء(٣) ، فلا تبنى أي معها . والاسمية قد يحذف صدرها » . فلا بناء مع الصلة الفعلية

١٠ — ٢٦٨ ، ٩ : (من غُدوةَ إلى الليل) ، بمنع (غدوة) من الصرف . وهذا ضبط جيد ؛ فإن (غدوة) هنا معرفة من قبيل أعلام الأجناس ، بدليل قرنها بالليل وهو معرفة . وغدوة حين تعدها معرفة تمنعها الصرف فتجرها بالفتحة(٤)

وزعم الخليل أنه يجوز أن تقول : آتيك اليوم غدوةً وبكرةً(٥) ؛ فهذا يدل على جواز الصرف مع إرادة المعرفة

٣ — في تحقيق النص

١ — ٢٦ ، ١٠ : (مثل الحراث الذي يثير أرضه ويعمرها ابتغاء الزرع لا العشب) فما وجه العمارة في طلب الزرع ؟! الصواب (يغمرها) بالغين المعجمة ، أي بالماء

٢ — ٣٨ ، ٣ في الحديث عن الجنين : (منوط مع سرته إلى مرىء بأمعائها) . وهو كلام متهالك مضطرب . فما العلاقة بين سرة الجنين وأمعاء الأم ؟ ! وإنما الجنين موطنه الرحم ، لا يعدوه ولا يتصل بغيره من الأعضاء . والصواب : (منوط بمعى [من] سرته) كما ورد في نسخة بولاق ص ٢٨ . والمِعى بالفتح ، وكإلى : واحد الأمعاء . والمراد به هنا ما يسمى : « الحبل السُّرى » : Umbilical cord

أما كلمة (مرىء) فعجيبة أيضاً ؛ فإن المرىء بفتح الميم وكسر الراء : هو رأس المعدة اللاحق بالحلقوم ، وهو مجرى الطعام والشراب إلى المعدة ؛ لا يكون إلا ذلك ، فكيف يكون المرىء بالأمعاء ؟ ! ووجه سائر العبارة عندي : (إلى مَراقِّ رحمها) . وأصل المراق للبطن ، وهى ما رقّ منه ولانَ

٣ — ٤٠ : ٦ : (والرضا مجهوداً مفقوداً) هى (مجهولاً) باللام . جاء في نسخة بولاق(٦) : (وكان الرضى أصبح مجهولاً) وفي نسخة شيخو ٤٢ : (وأصبح الرضى مفقوداً مجهولاً) . وعند ابن المبارية(١) :

من بعد ما عاد الحجا مجهولا والشر قد سامى السماء طولا

والحجا بالكسر : العقل والفطنة

٤ — ٤٤ : ٧ : (كالكحل الذي لا يؤخذ منه إلا مثل الغبار) . صوابه : (إلا مثل غبار الميل(٢)) . وقد جاء في نسخة بولاق ص ٣٠ (إلا غبار الميل) وفي نظم ابن المبارية ص ٢٢ :

أوشك أن يبقى بغير مال فالكحل لا يبقى على الأميال

الأميال : جمع ميل بالكسر

٥ — ٥٢ : ٢ (كالشعلة من النار التي يصونها) وفي التذييل ص ٢٩٠ : أنها كذلك في الأصل وفي نسخة شيخو ، وأنها في النسخ الأخرى (يضربها) وأن قريباً من هذا في السريانية الحديثة

أضيف إلى هذا التذييل أن في نسخة بولاق ص ٣٤ (يضرمها) بالميم . وهذه محرفة بلا ريب . فليس المراد تقوية النار وإضرامها وتذكيتها ، بل المراد سترها ومحاولة إضعافها

٦ — ٥٨ : ١ (فأحسن الأسد مسئلة شنزبة) المسألة هنا بمعنى السؤال ، مصدر ميمى من سأل ؛ والكتابة المعروفة (مسألة) برسم الهمزة فوق الألف

٧ — ٧٥ : ١٢ (مثل المكارى(٣) ، كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه) هى في الأصل ونسخة شيخو : (مثل البنى كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه) . وفي نسخة بولاق : (كمثل البنى كلما فقدت واحداً جاء آخر) . وتغيير الأصل هنا لا مبرر له . والأستاذ الجليل يعرف أنه لا يجوز لناشر كتاب تاريخى عالى أن يبدل ما يراه غير ملائم لأذواق معاصريه وميولهم ، ويعلم أن ذلك قد يعد جوراً على حق مؤلف الكتاب ، فإن تسويغ التبديل يسلب الكتاب شخصيته ، وربما نكّره على مرور الزمان فعاد آخر غير الأول

ولعل ما حدا بالأستاذ على ذلك أن قد وجد ابن المبارية قد صنع مثله (في ترجمته ص ٦٩) إذ يقول :

(١) في شرح الكافية (٢ : ٥٣)
(٢) النسبة إلى « اسم » : « اسمى » بهمزة وصل ، ويوهم من يجعلها في النسبة همزة قطع انظر سيبويه (٢ : ٨١)
(٣) يعنى صدر الصلة
(٤) الرضى (١ : ١٢٣) وسيبويه (٢ : ٤٨)
(٥) سيبويه (٢ : ٤٨ س ٢٤)
(٦) من كليلة ودمنة ص ٢٩

(١) نظم كليلة ودمنة ص ٢٨
(٢) الميل ، بالكسر : المرود الذي يكتحل به
(٣) المكارى بضم الميم وكسر الراء : من يكرى الناس دابته . والكراء ، بالكسر : الأجرة

الفقر مسألة اجتماعية (*)

للأستاذ رمسيس يونان

كتب الأستاذ العقاد فى عدد مضى من « الرسالة »(١) فصلاً قيما فى مشكلة الفقر كان من بين ما كتب الكاتبون جديراً بالدرس والتحليل

وبالرغم من دفاع الأستاذ العقاد القديم المتواصل عن العامل العاطفى فى حياة الإنسان ، فلا شك فى أنه من رجال الفكر المفتونين بالمنطق العقلى ؛ وهذه ميزة فى بيئة تعمه فى الخرافات والآراء المنقولة والحكم المسطورة . ولكن للمنطق العقلى حدوداً ونقائص ؛ وأولى هذه النقائص أن عرض المشاكل الاجتماعية كما تعرض القضايا المنطقية كثيراً مايوهم المفكرين بأن حل المشاكل الاجتماعية رهين بحل قضية اجتماعية ؛ وليس هكذا يحل المجتمع مشكلاته ؛ وليس هكذا تتطور وتسير الحياة . ونقيصة ثانية تلازم المعتمدين على المنطق العقلى وحده هو نزوعهم فى أغلب الأحيان إلى صياغة آرائهم فى قالب الحقائق المجردة الثابتة ، وليس هناك حقائق بوجه عام — وحقائق اجتماعية بنوع خاص — مجردة عن ظروف

الزمان والمكان . فالمجتمع ظاهرة متطورة ، ومع تطوره تتطور حقائقه ومثالياته وأحكامه . . . على أن أهم هذه النقائص هو أن رجال المنطق العقلى كثيراً ما يقعون فى شرك خدعة نفسية كبرى ، فهم إذ يعرضون آراءهم على أنها أحكامٌ مطلقة أو حقائق لا مراء فيها أو بديهيات أولية ، لا ينتبهون إلى أن هذه الآراء هى — عن غير وعى منهم — ليست فى صميمها غير انعكاس فى أذهانهم لصور مادية يحيطهم بها مجتمع بعينه

وأول ما ألاحظه — تفسيراً لما أقول — أن الاهتمام الحديث المتزايد الذى بدا من كتابنا بدراسة المشاكل الاجتماعية المتصلة بتوزيع الثروات لم يأت عفواً ، ولا من شهوة ذهنية طارئة هبطت على عقولهم من عالم الفكر المجرد . . . وإنما هناك حقائق مادية جديدة قد نشأت فى المجتمع المصرى هى التى انفعلت فى أذهان هؤلاء الكتاب وبعثتهم على التفكير فيها وعرض الآراء والحلول ؛ وهذه الحقائق — ككل الحقائق الاجتماعية — فى حركة وتطور مستمر ، وهى لا تتحرك وتتطور تبعاً لما يرتأى لها المنطقيون ، بل بفعل مطالب إنسانية تكشفت وتمت إذ مهدت لتحقيقها وسائل مادية جديدة

وعلى ذلك فأنا أعتقد أن الأسلوب الصحيح الذى يجب أن نسلكه فى دراسة مشكلة اجتماعية مثل مسألة الفقر ، هو أن نبدأ أولاً ببحث هذه الحقائق المادية الجديدة ، وقبل أن نبدى الآراء والحلول المنطقية أو غير المنطقية ، يجب علينا أن نتبين جيداً الاتجاه الذى تسير إليه هذه الحقائق ، وبهذا فقط يمكن أن يصبح تفكيرنا قوة إيجابية مجددة ، بدلاً من أن يكون مجرد انعكاس سلبى ، قد يعبر عن « إحدى صور المجتمع » ، ولكنه لا يعبر عن « الحركة الاجتماعية » فى تطورها الخالق

والعقاد — إذ يستمد على المنطق العقلى — لم يستطع أن يأتى بحكم واحد لا يقبل الجدل

فالفقر عند العقاد داء ، ولكننا لن نعدم أديباً آخر يقرر أن الفقر عقاب ، أو أنه تجربة من رب السموات

ونفهم من كلام العقاد أنه يريد أن يكون ربح الأفراد مساوياً لما يقدمون للمجتمع من نفع ؛ وكلمة « المجتمع » هنا خداعة غامضة المدلول ، فأى مجتمع يقصد ؟ هل يقصد المجتمع الإنسانى شمولاً ؟ إذا كان ذلك كذلك فالمجتمع الإنسانى كما نرى مقسم إلى

(*) هذا المقال تأخر نشره سهواً

(١) أنظر عدد ٤١١

شبيه خان فاعلن ومكتبٍ من فر(١) يوماً عنهما لم يطلب
لا يحفلان أبداً بمن رحل لكل من يمضى من الناس بدل

ومهما يكن فإن لفظ (المكارى) قلق ناب فى موضعه ، لا يتوجه إلى المعنى إلا مع الجهد والعسر ، وإن فيما أثبته الأستاذ من التنبيه على ذلك التبديل فى التعليقات لما يحمد عليه ، وإن كان لا يعد عذراً صالحاً للناشر

ونسأل : ما الحكمة فى أن يرفع الأستاذ هذا اللفظ من صلب الكتاب ثم يثبته وينبه عليه فى التعليقات؟! وكيف تسخط هذه الكلمة وغفر لنظائر لها وأشباه متفرقات فى ثنايا الكتاب(٢) ؟!

(له بقية) عبد السلام محمد هارون

(١) فى الأصل : « مر » بالميم . وليس يتجه

(٢) منها ما فى ٥٩ س ٩ ، ١١٧ س ٧ ، ١٢١ س ١٠ ، ١٣٨ س ١٥ ، ١٨٢ س ١٣ — ١٥

مجتمعات كثيرة تتضارب مصالحها إلى حد يصل بها إلى حرب شنيعة كالحرب الحاضرة . وعلى ذلك فالرجل الذى يعد نافعاً أكبر النفع بالنسبة للمجتمع الألمانى مثلاً قد يعد مجرماً بالنسبة للمجتمع البريطانى . أما إذا كان العقاد يقصد « بالمجتمع » أمة بعينها ، فالأمم كما نرى أيضاً مقسمة إلى طبقات ذات مصالح متعارضة . فإذا اكتشف عامل مثلاً وسيلة جديدة يلجأ إليها العمال ليرغموا بها أصحاب المصانع على زيادة أجورهم ، عُد هذا العامل مفيداً أكبر الفائدة بالنسبة لطبقة العمال ، ولكنه لن يعد كذلك فى نظر الطبقة التى تملك المصانع

والربح عند العقاد منه الحلال ومنه الحرام ؛ وليس لمقاييس الحلال والحرام ثبات ؛ فلكل مجتمع مقاييسه التى تنشأ معه لتوافق مصالح الطبقة الحاكمة . فاغتصاب ثروات الآخرين بالقوة مثلاً يعد إجراماً فى معظم المجتمعات الحاضرة ، ولكنه لا يعد كذلك فى كل المجتمعات ، ولم يكن يعد كذلك فى كل العصور ، بل هو ما زال يعد عملاً من أعمال البطولة فى ساحات الحروب ...

ويستنكر العقاد أن « يكون الجزاء الوافى حظ المثل الذى لا يستحى أن يعرض رجولته للفضوليات من المتفرجات » ؛ وقد يشارك العقاد فى هذا الرأى قوم كثيرون ، ولكنه من المؤكد أن (الفضوليات من المتفرجات) لا يشاركنه إياه

ومن الحقائق التى لا مراء فيها عند العقاد « أن حياة الإنسان كائناً ما كان أنفس من القوت والكساء ... » ؛ فلماذا لا نضيف إلى ذلك أن حياة الإنسان كائناً ما كان هى أنفس أيضاً من سيارة رشيقة ، ودار أنيقة ، تحيطها حديقة موردة ؟ ... فإذا قيل لنا : إن الإنسان يموت إذا حرم القوت والكساء ، ولا يموت إذا حرم سيارة أو حديقة ، فلنقل : إن الحياة لا تعنى عدم الموت فقط ، وإن الحياة بغير متعة إيجابية هى والموت سيان

ومن الحقائق أيضاً عند العقاد أن « الأمان كل الأمان خطر على الهمم والأذهان » ؛ وهو يريد أن يقول بذلك أنه لو اطمأن كل فرد إلى قوته وكسائه ، فقدنا من بنى الإنسان المنصر المقتحم المغامر ، « ومنى العالم بخطر من جراء ذلك ، هو أخطر عليه من الإجحاف فى تقسيم بعض الأعمال ، وتوزيع بعض الأرزاق » ... ولو صدر هذا القول من اسماعيل صدقى مثلاً لعذرناه ... ولكن الغريب حقاً أن يصدر من العقاد ... ! فكيف يستطيع العقاد الشاعر أن يقول إنه لا تكون مغامرة أو اقتحام إلا حيث يكون طلب الرزق ، وإن الإنسان لا يغامر فى سبيل غرام ، أو فى سبيل كشف علمى أو إنتاج فنى ؟ ... ولماذا لا نقول : إن روح المغامرة إذا تحررت من هموم العيش وأعباء الثروات ، فسوف تكتشف لنفسها ميادين وآفاقاً جديدة هى أجدر بعواطف الإنسان ؟ ...

ويرى العقاد — كما يرى غيره — أن « العالم مدين للمصاميين » ؛ وهذا رأى أقل ما يقال إنه مشكوك فيه . . .

فإن عدد الفلاحين الهنود والصينيين يزيد على نصف سكان هذا العالم ؛ فهل يمكن أن يقال مثلاً : إن هؤلاء الفلاحين مدينون بشىء للمصاميين ؟ ... ولكن لنفرض جدلاً أن هذا الرأى صحيح ، فمن الصحيح أيضاً أن نقول : إن الفلسفة والفنون الإغريقية مدينة لنظام الرق . . . وإن الديمقراطية الإنجليزية مدينة للفقر المدقع الذى يعانيه فلاحو الهند . . . فلولا وجود العبيد عند الإغريق لما استطاع « السادة » أن يتفرغوا للتفكير المجرد والبحث عن المثل العليا ، ولما ازدهرت عندهم فلسفة أو فنون . . . ولولا الأجور المنحطة التى ينالها فلاحو الهند لما أمكن المستعمر أن يربح هذه الأرباح الطائلة التى بدونها لما يتيسر للحكومة الإنجليزية أن تتقدم لعمالها بمشروعات الإصلاح وبالإعانات والهبات الكثيرة . ولكن لولا هذه الإعانات والهبات لانتظرنا أن تنشط بين العمال الإنجليز الحركة الشيوعية كما نشطت فى ألمانيا ؛ وفى هذه الحالة ، لا يكون غريباً أن الطبقة الحاكمة الإنجليزية كانت تلجأ إلى النظام الدكتاتورى لقمع هذه الحركة

ولكنا إذا قلنا إن الفنون الإغريقية مدينة للعبيد ، وإن الديمقراطية الإنجليزية مدينة لفقر الفلاحين الهنود ، فليس معنى ذلك أن نظام الرق كان يجب ألا يزول ، أو أن فقر الفلاحين الهنود ينبغى أن يستمر ... وكذلك إذا صح أن العالم مدين للمصاميين ، فليس صحيحاً أن العالم سيبقى مديناً لهم أبد الآبدين . فمهما تكن قيمة الدور التاريخى الذى لعبه المصاميون فى تطور الاقتصاد العالمى فى القرنين الماضيين ، فإن كل الحقائق تدل على أن ما يسميه العقاد « البراعة المالية » ليست فى الوقت الحاضر

كما يقول « لا أزمة لتأسيس المرافق الاجتماعية والأخلاق القومية وتنظيم العلاقات واستثارة الهمم وتوزيع الأعمال التي لا يستبحر بغيرها عمران ... » بل إنها على العكس من ذلك تؤدي بالعالم الآن إلى أشنع تمزيق وتخريب وتدمير عرفه الإنسان ...

فلا وجود للعصاميين بغير تنافس اقتصادي ؛ والتنافس الاقتصادي العالمي هو المسؤول الأول عن الحرب الماضية وعن الحرب الحاضرة . ولسنا ننتظر من مخلوق به مسكة من الشعور الإنساني أن يقول إن هذه الحرب في ذاتها بركة للانسان .

هذا وإن كنا نأمل — بعد أن فشلت الحرب الماضية في تنبيه الشعوب تنبيهاً كافياً إلى عواقب التنافس الاقتصادي — أن تكون نتيجة هذه الحرب الحاضرة هو القضاء فعلاً على النظام الاقتصادي الذي يؤدي التكالب فيه على جمع الثروات إلى الدجل والاحتيال من ناحية ، وإلى الشقاء والمرض والحروب الهمجية من ناحية أخرى ...

ولا شك أن الفقر — كصفة لاصقة بحياة الأغلبية من الشعب المصري — ظاهرة قديمة ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ . فما الذي جد إذاً على فقراء مصر حتى أصبحت لهم مسألة تشغل بال كثير من الأغنياء ، ويهتم لها المفكرون ، ويقلق أدباء كانوا يؤثرون الدعة والراحة في مخادع البرج العاجي ... ؟

قد يكون صحيحاً أن بعض الأدباء والمفكرين المصريين قد تأثروا بالأدب والتفكير الاوربي الحديث الذي يعالج مشاكل الاقتصاد وتوزيع الثروات ، وهي أم المشكلات في الحياة الأوربية المعاصرة ؛ ولكن هذا التأثر كان يبقى شيئاً خاصاً بأفراد ، لا قيمة اجتماعية له ، ولا يثير اهتمام الرأي العام ، لو لم تكن حياتنا الاجتماعية قد تأثرت تأثراً مادياً بالمدنية الغربية

ولقد اقتبسنا عن الغرب أشياء كثيرة ؛ منها مظاهر سطحية كأساليب الأكل واللباس ، ومنها مظاهر أعمق كأساليب التشريع والقضاء والتعليم ؛ ولكن وراء كل هذه المظاهر يكمن تأثر مادي أساسي ، هو اقتباسنا لبعض الأساليب الحديثة في إنتاج الثروات ، أي لبعض الصناعات الآلية التي نمت في مصر نمواً مطرداً في السنوات الأخيرة

ودخول الصناعة الحديثة في مصر معناه نشوء طبقتين جديدتين : طبقة رجال الأعمال من ناحية ، وطبقة العمال من ناحية أخرى . ورجال الأعمال يعيشون في جو مادي ، ولهم أساليب في التفكير ، ولهم مصالح اقتصادية تختلف عن نظائرها عند أولئك الذين تعتمد ثروتهم على ملكية الأراضي المزروعة . فمن مصلحة رجال الأعمال مثلاً أن ينتشر التعليم ، لأن المصانع محتاجة إلى العدد الوفير من العمال الفنيين وإلى العلماء والمهندسين وماسكي الدفاتر ... وليس لطبقة ملاك الأرض مصلحة ما في أن يستخدم نصيب من الضرائب المفروضة عليها في إنشاء المدارس الفنية . . . فالزراعة في مصر ما زالت تسير على الطرق البدائية التي كانت تسير عليها في عصور الفراعنة . وما دامت الأيدي العاملة في الزراعة رخيصة إلى الحد الذي نراه ، فلن يسعى ملاك الأرض إلى استخدام الآلات الزراعية الحديثة الغالية الأثمان ، ولن يحتاجوا تبعاً لذلك إلى المتعلمين تعلماً فنياً إلا بقدر ضئيل . وهذا هو السبب الأساسي في نكبة خريجي مدارس الزراعة على قلتهم في بلد تعيش أغلبيته على الإنتاج الزراعي

وهذا في رأينا هو بعض التفسير المادي للمجادلات الصحفية التي كثرت في السنوات الأخيرة عن التعليم في مصر وضرورة توسيعه أو تحديده أو تغيير مناهجه

وقد تنبه رجال الأعمال في مصر من وقت ظهورهم إلى أن العقبة الأولى التي تقف في سبيل توسعهم الصناعي ورواج بضائعهم هي المنافسة الأجنبية . ومن هنا كانت الدعوة إلى الوطنية الاقتصادية التي لعبت دورها أولاً في حركة الاستقلال وإلغاء الامتيازات ، ثم استحالت دعوة مستقلة لتشجيع المصنوعات المصرية ...

أما العقبة الثانية — وقد بدأ التنبه إليها حديثاً — فهي ضعف السوق المحلية . وما دامت الصناعة المصرية لا تطمع في منافسة الصناعة الغربية في الأسواق الأجنبية ، فهي مضطرة إلى الاعتماد قبل كل شيء على السوق المحلية . ولكن ما دام هناك أربعة عشر مليوناً من سكان مصر لا يكادون لفقرهم أن يستهلكوا شيئاً من المصنوعات ، فلا أمل لأرباب الصناعة المصرية في الإنتاج الضخم الذي يدر الأرباح الطائلة على زملائهم في الغرب .

(البقية في العدد القادم)

رمسيس يونان

٦ - مدن الحضارات
فى القديم والحديث
للأستاذ محمد عبد الغني حسن

قرطبة :

يحق للحضارة العربية الإسلامية أن تفخر بما كان لها فى عدوة الأندلس من تاريخ مجيد ، فلقد كانت الحضارة الشرقية الإسلامية فى المشرق يقابلها حضارة إسلامية شرقية فى المغرب ، ولم يظهر فى المشرق عالم جليل أو محدث كبير ، أو شاعر شهير ، أو فيلسوف حكيم ، أو وزير له خطر ، أو أمير له قدر ، إلا ظهر فى المغرب من يدانيه علماً أو ينافسه قدراً أو يزاحمه محلاً

فلقد وقعت المفاضلة بين ابن رشد والطوسى [١] ، وبين ابن زهر الحكيم وابن سينا ، وبين ابن فرناس والفارابى ، وبين ابن هانىء الشاعر والمتنبى ، وبين ابن زيدون والبحترى ، وبين ابن عبدون والأصمعى ، وبين أبى مروان البصرى والمعرى ، فقد كان الشبه بين النظيرين فى الفن الواحد قريباً ، وكان الفرق بين المتماثلين غير بعيد

وكان حظ المدن من تلك المفاضلة ونصيبها من تلك المقابلة حظ الأناسى من أهل العلم والنظر والجلال والخطر ؛ فهذه بغداد فى المشرق على نهر دجلة ، وتلك قرطبة فى المغرب على الشاطىء الغربى من نهر الوادى الكبير

ولقد أتيح لكثير من المؤرخين فى العصور التالية لسقوطها أن يزوروا تلك المدينة الضائعة فى ذلك الفردوس الإسلامى المفقود . وزارها فى العصر الحديث اثنان من أهل النظر والرأى والأدب والعلم . هما الأمير العربى المسلم النيور شكيب أرسلان [٢] والكاتب المصرى الرحالة محمد لبيب البتانونى - صاحب الرحلة الحجازية ورحلة الأندلس

ووصف كل من الكاتبين المدينة الإسلامية على حالها اليوم ، ثم تطرق بهما الحديث إلى ذكر تاريخها وشىء من أحداثها ، وذكر الجامع العظيم فيها

(١) رحلة الأندلس لمحمد لبيب البتانونى ص ٤٣

(٢) تجد وصفاً ممتعاً لها فى كتاب الحلل السندسية للأمير شكيب طبعة الحلبى جـ ١

رأى البتانونى قرطبة فى العقد الثالث من القرن العشرين الميلادى (سنة ١٩٢٧) فلاحت أمام عينيه عربية المظهر ، شرقية المنظر (وشكل مبانيها يكاد يكون عربياً صرفاً) [١]

ورآها الأمير شكيب بعد ذلك ببضع سنوات ، وقد طحنتها رحى الفتنة حين تأليفه كتاب الحلل ، وغيرها حلول المصائب والأحداث ، واتصلت الشدائد على أهلها فلم يبق منهم بها وقت زيارته لها إلا الخلق اليسير [٢]

ولقد لفت حياء نسائها نظر البتانونى فأثنى عليهن ونعتهن بالاحتشام وغض البصر والإطراق إلى الأرض فى غير تحديق إلى الرجال [٣] . والظاهر عندى أن ذلك الحياء الجميل يكاد يكون طبعاً فى نساء الأندلس اليوم ، فقد رأيت كثيراً من فتيات أسبانيا المتعلمات يفدن إلى جامعة (تور) بفرنسا لتعلم الفرنسية فى عطلة الصيف ، ورأيت منهن الحياء والعفة والبعد عن التبرج الممقوت الذى كنت أنعيه على نساء فرنسا ، ورأيت منهن ما يؤيد قول البتانونى (ومع أن بلادهم حارة جداً لا تكاد ترى صدورهن عارية)

على أن هناك رحالة ثالثاً معاصراً تعرض لذكر الأندلس فى كتابه (السفر إلى المؤتمر) وهو المرحوم أحمد زكى باشا ؛ إلا أن حديثه عن الأندلس جاء فى عرض كلامه عن رحلة إلى المؤتمر ، ولم يكن حديث الإصالة كما فعل الأمير شكيب والبتانونى

وأغلب المعلومات التاريخية التى أوردها الرحالتان مستقاة من نفح الطيب الذى اختص قرطبة فى الجزء الأول بحديث طويل . ويروى المقرى صاحب نفح الطيب عن ابن سعيد المغربى أو عن الشريف الأدريسى ، أو عن الحضرمى

ومعتمدنا فى كتابة هذا الفصل عن قرطبة على كتاب نفح الطيب الذى يعد بحق مرجعاً وافياً لتاريخ الأندلس

ولقد وصف كثير من العلماء (قرطبة) فى أزهى عصورها وأجمل أيامها ، ويستشهد (المقرى) بأقوال هؤلاء العلماء ، إلا أنه لا يذكر أسماءهم ولا يدلى بخبر عنهم ، فهو يقول مثلاً : قال بعضهم ، وقال بعض العلماء ... وفى الوقت نفسه يذكر أسماء الأعلام منهم ، أو الذين وصل إليه علمهم ، واشتهر عنده اسمهم : كالحجازى والحضرمى وابن سعيد والبكرى

(١) رحلة الأندلس ص ٥٣

(٢) الحلل السندسية جـ١ ص ١٤٣ (٣) رحلة الأندلس ص ٥٣

ولقد ذكر ابن سعيد عمارة قرطبة فقال : إن العمارة اتصلت بها في أيام بني أمية ثمانية فراسخ طولاً وفرسخين عرضاً ، وذلك من الأميال أربعة وعشرون في الطول وستة في العرض ، وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادي الكبير .

وذكر آدم متز المستشرق في كتابه : « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » ، نقلاً عن ابن عذاري المراكشي صاحب كتاب البيان المغرب أن عدد الدور التي كانت بها للرعية دون دور الوزراء وأكابر أهل الخدمة مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار ، وأن مساجدها ثلاثة آلاف : (الجزء الثاني من الحضارة الإسلامية ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ص ٢٢٧) .

ولقد بلغ من اتساع قرطبة وامتداد مساحتها واتصال العمران بها أن عدد أرباضها بلغ واحداً وعشرين ربضاً ، وفي كل منها من المساجد والأسواق والحمامات ما يقوم بأهله ولا يحتاجون إلى غيره[1]

وفي خارج قرطبة امتدت قرى كثيرة قدرها ابن سعيد بثلاثة آلاف قرية . وهو عدد إذا فرضنا أن المبالغة التاريخية قد ضاعفته ، فهو يدل بغير شك على ازدحام القرى حول تلك العاصمة الإسلامية ، كما تزدحم القرى الصغيرة والكبيرة حول (لندن) اليوم مثلاً ، وتمتد إلى عشرات الأميال . وقد قدر لنا أن نرى هذه القرى اللندنية من أعوام خلت

وكان القرويون من أهل أندلس لا يقطعون ترددهم على قرطبة واختلافهم إليها في كل مناسبة صغرت أم كبرت ، وكان أعظم ما يجذبهم[2] إليها شهود يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة والتسليم عليه ومطالعته بأحوال بلادهم

ولقد بلغت المنافسة بينها وبين بغداد حداً عظيما ، حتى لقد أحبها المؤرخون من أهلها ، فحابوها بالوصف ، كما يقول المرحوم شوقي : [ولكن من أحب الشيء حابى] ...

وحاول كثير من وصافها أن يلحقوها ببغداد في أيام عظمتها ، حتى لقد زعم قوم من أهلها أنها كأحد جانبي بغداد ، وإن لم تكن كأحد جانبيها فهي قريبة من ذلك

(١) نفح الطيب . المطبعة الأزهرية جـ ١ ص ٢١٣
(٢) المصدر نفسه

ولم تكن قرطبة خاملة الذكر وضيعة المحل قبل الفتح العربي ولكنها كانت عاصمة فزادها الفاتحون من المسلمين عمراناً ، وزادوها عظمة بما بنوه في ضواحيها من القصور الكبيرة أشباه المدن الضخمة (راجع تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان حـ ٥ ص ٩٠)

ويغلب على الظن أن قرطبة قبل الإسلام كانت مما شيده القرطاجنيون ، ثم صارت تابعة للرومان سنة ١٥٢ ق . م إلى أن دخلها المسلمون ، وجعلوها حاضرة الملك ومقر الأمارة ، وحاولوا أن يخلعوا عليها من جلال الملك ما يدنيها من عواصم الشرق الكبرى ، ولعبت المنافسة في ذلك الدور العظيم

وكان فيها نظام الطبقات البنائي كما حدث في القاهرة وفي بغداد وفي سامرا وفي دمشق وفي غيرها من العواصم . والواقع أن فكرة التقسيم بين الطبقات قديمة منذ الزمان الأول ؛ فلقد كان في أيام الفراعنة قصور وأحياء للأشراف وأحياء للعامة

وقد عقد المرحوم جورجي زيدان[1] موازنة بسيطة بين دور الأشراف في رومة إبان عمرانها وبين دور الأشراف في قرطبة إبان عمرانها كذلك ، وكانت في الأولى ألفين — على ما رواه (جيبون) وفي الثانية أكثر من ستة آلاف — على ما رواه المقري نقلاً عن غيره

وأعجب ما في قرطبة من بدائع الفن وروائع الهندسة العربية آيتان : القصر الكبير والمسجد الجامع . أما القصر الكبير فكان مؤلفاً من ٤٣٠ داراً كالكامل والمشوق والمبارك وقصر السرور وغيرها[2]

وكان في هذا القصر من العجائب الكثير سئل عنه ابن بشكوال[3] فقال بعد كلام : (وفيه من المباني الأولية والآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والأمم السالفة ما يعجز الوصف ، ثم ابتدع الخلفاء من بني مروان منذ فتح الله عليهم الأندلس بما فيها في قصرها البدائع الحسان ، وأثروا فيه الآثار العجيبة ، والرياض الأنيقة ، وأجروا فيه المياه العذبة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي حـ ٥ ص ٩١
(٢) نفح الطيب حـ ١ ص ٢١٦
(٣) نفح الطيب

المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة ، وتمونوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها إلى القصر الكريم وأجروها في كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه في قنوات الرصاص ، تؤديها منه إلى المصانع صور مختلفة الأشكال من الذهب الأبريز والفضة الخالصة والنحاس المموه ، إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج الغريبة في أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة . . . وفي هذا القصر القباب العالية السمو ، المنيفة العلو ، التي لم ير الراءون مثلها في مشارق الأرض ومغاربها) .

وقد بناه عبد الرحمن الداخل الأموي بعد ما فر من الشرق ووطد لنفسه في الأندلس ملكا ، وزاد الأمراء من بعده عليه كلٌ على حسب طاقته . ومن المؤلم أن تتطاول يد الزمان وتمتد إلى قصور ذلك القصر فتقتلعها من أساسها ، وتدكها من قواعدها ، ولم يبق منها بعد مثولها للعيان ، وكونها في الزمان ، نقش ولا أثر ، إلا أثراً يذكر ، وخبراً يسطر ، وقصة تروى ، وحديثاً لمن ألقى السمع

وقد اصطلحت على محو تلك القصور والدور عوامل من الزمن ، ودوافع من الإحن والمحن . أما الزمن فقد تطاول ، والبناء لا يبقى على التطاول ، ولا يدوم على امتداد ، وأما الإحن والمحن فقد اختلفت على قرطبة ، وحدثت الثورات ، وفتكت يد التخريب ، وأصبح أهل قرطبة منذ عهد المرابطين عرضة للحوادث وغرضاً للشغب . وجاء المتعصبون من النصارى فحاولوا أن يزيلوا للأسلام كل أثر ، وأن يدكوا للعرب كل قاعدة ، وأن يهدموا من الحضارة العربية كل ركن ؛ فزال البنـاء ومات البنّـاء ، وبكى حين لا ينفع البكاء . وهل يرد الملك المضيَّع فيضُ الدموع ، أو يعيد المجـد المحطم وَقْد الضلوع ؟ ولم يدم ذلك الجلال طويلا . ففي القرن الخامس الهجري أخذ كل شيء ينذر بسقوط قرطبة[1] . وقبل ذلك بزمن كانت هذه العاصمة الجميلة مسرحا للفتن ، وميداناً للمحن[2] . وصار الخلفاء يولون ويعزلون في أجل قصير وأمد قريب . فتولاها في مدة يسيرة ستة من الأمويين ، وثلاثة من بني حمود ، مما انتهى إلى التفرقة والانقسام

(١) من المؤرخ الألماني « آشباخ » في كتابه : « تاريخ الأندلس » في عهد المرابطين والموحدين

(٢) رحلة الأندلس

وكان الأمراء يختلفون ويحتربون وتسيل دماء الناس على أيامهم . وقام العداء بين أمير وأمير ، ومدينة ومدينة . ودارت الحرب بين طليطلة وقرطبة . وظلت بضعة أعوام تتخللها معارك مضطرمة بين الفريقين ، انتهت نهاية مؤلمة ومصيراً محزناً بالنسبة إلى قرطبة وحاكمها ابن جهور . فقد ظفر صاحب طليطلة بابن جهور وضرب الحصار على العاصمة القديمة للأندلس ، ولم يرفع عنهـا إلا بعد أن أسيلت الدماء ، وانهارت على أثر ذلك دولة بني جهور في قرطبة[1]

ومن هذه الفتن أيضاً ما حدث بعد ذلك بقليل ، فقد هاجم أهل طليطلة ومرتزقة قشتالة قرطبة على غرة ، فسقطت في أيديهم بلا مقاومة ، ولـكن نشبت بين الفريقين في الزهراء — مجمع القصور الملـكية — معركة دموية دافع فيها الحرس عن القصور دفاعاً شديداً[2] . وقتل ابن الأمير ابن عباد ، ورفع رأسه على رمح وطيف به في شوارع قرطبة

ولم يطل ملك بني عباد ، حتى تغلب عليه المرابطون سنة ٤٨١ فالموحدون سنة ٥٣٩ ، وانتقصت أطراف هذا الفردوس الجميل شيئاً فشيئاً

[الحديث موصول] محمد عبد الغني حسن

(١) يوسف آشباخ في المصدر السابق

(٢) المصدر نفسه

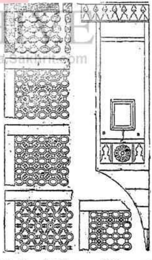
٣ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين
للأستاذ عدلي طاهر نور

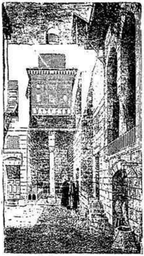
المنازل

وحجرات الطابق الأرضي لها نوافذ صغيرة مركبة من قضبان من الخشب المنقور Grille de bois مرتفعة بحيث لا تسمح للراجل أو للراكب أن ينظر من خلالها. أما الغرف العلوية فنوافذها تبرز بمقدار قدم ونصف قدم أو أكثر؛ وأغلبها مصنوع من الخشب المخروط المشبك؛ وهو لضيق ثقوبه، يمنع كثيراً من النور والشمس، ويحجب سكان المنزل عن الأنظار؛ ولكنه في الوقت نفسه يسمح بدخول الهواء. ومن العادة ألا يُصبغ هذا الخشب، ولكن القليل منها يصبغ بعضه بالأحمر والأخضر، وبعضه يصبغ كله. وهذا النوع من النوافذ يسمى روشنا، ولكنه في الاصطلاح الغالب يسمى مشربية؛ والكلمة الأخيرة لها وضع آخر سيذكر بعد.



شكل ٣ ـ (نماذج من شبابيك الخشب المخرط) والمسافة بين منتصف صف من الحبات إلى منتصف صف آخر تبلغ من بوصة وربع إلى بوصة وثلاثة أرباع

وكثير من النوافذ المختلفة الأنواع مصور في هذا الكتاب؛ وقد أوردت على قياس أوسع رسوما لأكثر نماذج الشبابيك شيوعاً. انظر شكل (٣). وقد يكون للنافذة الموصوفة آنفاً مشربية صغيرة تشبه نوعاً ما روشنا مصغراً، تبرز عند الواجهة أو عند الجانبين. وتوضع فوقها قلل من الفخار ذات مسام لتبريد الماء بتعريضه لتيار الهواء. ومن هنا اشتق اسم «مشربية» ومعناه «مكان الشرب». ويعلو النافذة البارزة مباشرة نافذة أخرى مسطوحة من الخشب المشبك أو من القضبان الخشبية أو من الزجاج الملون. وشباك هذه النافذة العلوية، إذا كان لها شباك، كثيراً مايكون ذا رسوم قوامها موضوعات تصويرية fantastique أكثر من الأنواع الأخرى، فيمثل طستاً فوقه إبريق، أو صورة أسد، أو اسم الله، أو أمثال هذه الجملة: «الله أملي» الخ. وقد تكون النوافذ البارزة مُلوّحة كلها بالخشب، وقليل منها يميل إلى الأمام من أسفل إلى أعلى بزاوية عشرين درجة تقريباً. وتفتح من القمة لدخول النور. وبعض الأشكال النائبة، تكون جوانبها ذوات ألواح زجاجية.



شكل ٤ ـ (فناء منزل قاهري)

وفي أجمل المنازل أيضاً تجهز شبابيك النوافذ الآن بألواح زجاجية من الداخل فتقفل كلها في الشتاء لأن البرد القارس يشعر به المصريون عندما تنخفض الحرارة إلى أقل من ستين درجة فاهرنهايت (١). وأما نوافذ الدور الدنيا فأكثرها من طراز آخر لأنها مستوية مع سطح الحائط الخارجي. وجزؤها الأعلى يكون شباكا أو قضباناً خشبية، والجزء الأسفل له دُرَف معلقة يقفل بها؛ والكثير منها له مشربية للقلل تبرز عند جزئه الأسفل

(١) أما النوافذ الزجاجية على الطريقة الأوربية التي لكل منها شباك في خارج نصفها الأسفل فقد شاع استعمالها فيما بعد في المنازل الجديدة في أقسام كثيرة من القاهرة. وأكثر هذه النوافذ توجد في المنازل المشيدة على الطراز التركي الذي يقرب كثيراً أو قليلا من النظم الأوربية؛ وهي لا تلائم المناخ الحار وإن كانت مريحة في الشتاء

وتتألف المنازل ، على العموم ، من طابقين أو ثلاثة (شكل ٤) ويتوسط كل دار كبيرة فناء مكشوف غير مبلط يدخل إليه من دهليز ينعطف مرة أو مرتين بقصد منع المارين فى الطريق من النظر إلى الداخل . وفى هذه الطرقة من داخل الباب يوجد مقعد حجرى طويل يسمى « مصطبة » وهو ملاصق للحائط الخلفى أو الجانبى يجلس عليه البواب والخدم الآخرون . وفى هذا الفناء بئر يتسرب ماؤه المائل للملوحة خلال الأرض من النيل ، كما يوجد فى جانبه الظليل جرتان يجلب إليهما الماء يومياً من النهر فى قرب [١] . وتطل الغرف الرئيسية على الحوش ، وتغطى جدرانها الخارجية بالجص وتبيض . وهناك كثير من الأبواب تفتح على الفناء ، منها واحد يسمى « باب الحريم » وهو مدخل السلم الذى يؤدى إلى الحجرات المخصصة للنساء ولرب الدار وأولاده [٢]



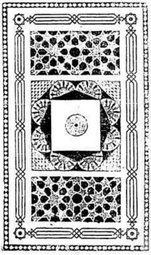
شكل ٥ ـ (البهو أو غرفة الاستقبال)

ويوجد غالباً فى الطابق الأرضى غرفة تسمى (منضرة) شكل ٥ يستقبل فيها الزائرون من الرجال . ولهذه الغرفة نافذة واسعة من القضبان الخشبية ، أو نافذتان من هذا النوع تطلان على الحوش ، وأرضيتها جزء صغير يمتد من الباب إلى الجهة المقابلة منخفضاً عن بقية الغرفة بأربع أو خمس بوصات تقريباً . ويطلق

(١) يوجد فى بعض المنازل الكبيرة فناءان يخصص الداخلى منهما للحريم . ويوجد عادة فى الفناء الآخر أو فى الاثنين معا سياج صغير به أقواس خشبية تزرع فيه الأشجار والزهور . وأكثر أنواع الشجر شيوعا فى فناء المنازل الكروم والتوت ، وكثيرا ما يوجد معهما اللوز والنخيل وأشجار أخرى

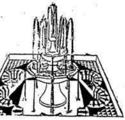
(٢) يلاحظ فى الرسم الذى رسمته لفناء المنزل أن باب الحريم هو ذلك الذى يواجه الناظر

عليه اسم (دُرْقاعة) [١] . وهذه الأخيرة تبلط فى المنازل الجميلة برخام أبيض وأسود ، وبقطع صغيرة من القراميد الحمر الجميلة فى نماذج معقدة أنيقة ، ويتوسطها فوارة تسمى (فسقية) يتدفق ماؤها فى بركة صغيرة قليلة الغور ، مخططة برخام بلون الأرضية المحيطة بها . وتصرف مياه هذا النبع من الحوض بواسطة ماسورة . وأمامك نموذج من أرضية الدرقاعة شكل ٦ كما وصفناها آنفاً

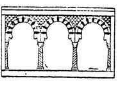


شكل ٦
(أرضية درقاعة عرضها حوالى ثمانى أقدام)

ويوجد فى نهاية الدرقاعة فى مواجهة الباب رف من الرخام أو من الحجر العادى على ارتفاع أربع أقدام تقريباً يطلق عليه اسم (صفة) يستند على عقدين أو أكثر ، أو على عقد منفرد؛ ويوضع تحته أوعية للاستعمال العادى مثل أوعية « العطور » والطست والإبريق المستعملين للغسيل قبل الأكل وبعده وللوضوء ، كما توضع فوقه أوانى المياه وفناجين القهوة وتكسى



شكل ٧ ـ (نافورة)



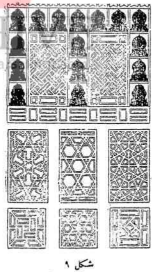
شكل ٨ ـ (صفة)

عقود الصفة فى الدور الجميلة بالرخام والقراميد على مثال بركة الفسقية (أنظر رقم ٧ ورقم ٨) كما يكسى الحائط الذى يعلوها إلى ارتفاع أربع أقدام أو أكثر تقريباً بمواد مماثلة : جزء منها بألواح رخامية

(١) الظاهر أن هذه الكلمة محرفة من الكلمة الفارسية « درجاه »

كبيرة قائمة ، والجزء الآخر بقطع صغيرة على أسلوب الدرقاعة .
أما المنصة أو الجزء المرتفع من الأرضية فيسمى (ليوان)[1]

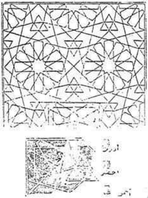
ويجب على كل داخل أن يخلع نعليه فى الدرقاعة قبل الصعود إلى الليوان ؛ وهذا الليوان يبلط عادة بالحجر العادى ، ويفرش بالحصير صيفاً وبالبسط فوق الحصر شتاء ، وتوضع فوقه الحشايا والوسائد ملاصقة للجدران ، ويسمى حينئذ (ديوان) . وتوضع الحشية التى يبلغ عرضها حوالى ثلاث أقدام ، وسمكها ثلاث بوصات أو أربعاً ، على الأرض عادة . أما الوسائد وطولها بقدر عرض الحشية ، وارتفاعها مساو لنصف هذا المقياس ، فتسند مائلة إلى الحائط . وتحشى الحشايا والوسائد بالقطن وتغطى بالشيت المطبوع أو الجوخ أو بما هو أغلى ثمناً . وأحياناً توضع الحشية على سرير من جريد النخل ، وأحياناً أخرى توضع على منصة حجرية تعلو إلى نصف قدم تقريباً وتسمى « سدلة » ، وهى كلمة من أصل فارسى تطلق أيضاً على فجوة عرضها مساو لعمقها تقريباً ، وبها فرش ووسائد حول جوانبها الثلاثة . ويلاحظ أن بعض الغرف به مكان أو أكثر من هذه الأمكنة الداخلة تستخدم للجلوس شتاء وهى لذلك تبقى بدون نوافذ . أما حوائط الحجرة فتغطى بالجص وتبيض . ويوجد فى داخل جدران الغرفة دولابان أو ثلاثة قليلة العمق ، بمصاريعها حشوات خشبية دقيقة الصنع ، لأن الحرارة ويبوسة الجو يعرضان الخشب للتقلص والالتواء كما لو كان داخل تنور ؛ ولهذا السبب تصنع أبواب الغرف أيضاً بالطريقة نفسها . ويلاحظ أن هناك تفنناً عظيما



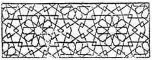
شكل ٩
نماذج من الحشوات الخشبية

(١) يجب عدم الخلط بين « ليوان » و « ديوان » المذكورة فيما بعد . والليوان يسمى أيضاً « إيوان » ومعناه الحقيقى رواق مكشوف الواجهة أو قصراً الخ . وكلتا « ليوان » و « إيوان » من أصل فارسى إلا أن الأولى تنطق محرفة من كلمة « الأيوان »

ومهارة فائقة فى مختلف الأساليب المتبعة فى صنع تلك الحشوات الصغيرة وتركيبها ، وقد نشرت بعض نماذج مختارة منها (شكل ٩) . أما السقف الذى يعلو الليوان ، فهو ذو جسور من الخشب المنقور يبعد الواحد منها عن الآخر مسافة قدم ؛ ويلون بعضها وأحياناً يذهب ، ولكن هذا الجزء من السقف الذى يعلو الدرقاعة يكون فى المنازل الجميلة أفخم نقوشاً وأكثر زخرفة . وبدلاً من العروق الكبيرة تسمر بضعة شرائط خشبية دقيقة فى الألواح فتؤلف نماذج غريبة التعقيد ، كاملة الانتظام ، ذات تأثير زخرفى عظيم . وقد رسمت جزءاً من السقف على هذا الأسلوب الزخرفى ، ولكنه ليس من الطراز الكثير التعقيد . (شكل رقم ١٠) . وهذه الشرائط تدهن بالأصفر أو تذهب ، وما بينها يلون بالأخضر والأحمر والأزرق . وتكون الألوان فى المثل الذى ضربته ، كما هو مشار إليها فى الرسم بالنسبة نفسها ، ولكن على مقياس أكبر . أما المربع الذى يتوسط السقف حيث تكون الشرائط سوداء على أرضية صفراء . وكثيراً ما يتدلى قنديل من وسط هذا المربع . وهناك بضعة نماذج متشابهة ، وألوانها – الواحد بالنسبة للآخر – توضع غالباً بالترتيب نفسه ؛ إلا أن هذه السقوف فى بعض المنازل لا تلون . أما سقف النافذة البارزة فكثيراً ما يزخرف بالطريقة نفسها . كما ترى فى الشكل ١١ ، وهكذا يتجلى الذوق السليم بقصر الزخرفة على الأجزاء التى لا تكون دائماً أمام العين ، لأن إدمان النظر إلى مثل تلك الخطوط الكثيرة المتقاطعة المتجهة فى اتجاهات عديدة مما يؤلم العين



شكل ١٠ — (سقف درقاعة)
عرضه حوالى ثمانية أقدام



شكل ١١ — (سقف نافذة بارزة)
والمقاييس ثمانية أقدام فى ثلاثة

(يتبع) عدلى طاهر نور

إعادة إلى الله . . .

[إلى طيفها الذى لا يفارقنى]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

. . . وَأَوْمَأْتُ لِلّهِ عَلَّ أَرَاهَا !
مَعَ اللَّيْـلِ تَسْرِى بِقلبِى خُطاها
مَعَ الصَّمْتِ يُشْجِى خَيالى نِداها
مَعَ الزَّهْرِ يَرْوِى دَمِى مِنْ شَذاها
مَعَ الطَّيْرِ تَرْوِى لِرُوحى أساها
مَعَ النَّفْسِ تَجْرِى هَوًى فى هَواها
وَيَجْرِى بِدَمْعِ اللَّيالى بُكاها . . .

فَقَالَ لِيَ الغَيْبُ : ضَلَّتْ سُرَاها !
فَهَامَتْ مَعَ المَوْجِ حَتَّى طَوَاها
وَذابَتْ مَعَ الفَجْرِ حَوْلِى رُؤاها
وَرَفْرَفَ مِنْ حَاجِبَيْهِ سَنَاها
وَأَشْرَقَ مِنْ رَاحَتَيْهِ صِبَـاها
وَكانَتْ لَهُ غُنْوَةٌ فى لِقَاها
وَكانَتْ لهُ آهَـةٌ فى نَوَاها
وَكانَتْ لهُ قِصَّـةٌ ما رَوَاها
لِغَيْرِى ، وَغَيْرُ الرُّبَى . قُلْتُ : وَاها !
فَيَا لَيْتَهُ نَحْـوَ قلبى هَدَاها
وَنَضَّرَ مِنْ صَفْحَتَيْهِ ثَرَاها
فَإِنْ ظَمِئَتْ مِنْ شَبَابِى سَقَاها
وَإِنْ شَقِيَتْ سَاقَ دَهْرِى فِدَاها
فَمَالى مَدَى العُمْرِ سِحْرٌ سِواها

هَتَفْتُ . . . فَصَدَّتْ نِدائِى سَمَاها !
فَأَوْمَأْتُ لِلّهِ . . . عَلِّى أَرَاها
كَأَنِّي « بِسَيْنَاءَ » صَوْتٌ تَنَاهَى
إلى شَفَةِ الغَيْبِ يَدْعُو الإلٰهَا . . .

(النخيلة) محمود حسن اسماعيل

من الأدب الفرعونى

نشيـــــد السيفين [1]

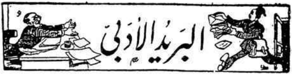
[من رواية « مصر الخالدة » التى ألفها ويخرجها الأستاذ « فتوح نشاطى » . وهي مسرحية فرعونية ، تفتتح بها الفرقة القومية موسمها التمثيلى للقبل . . .]

للأديب عبد الرحمن الخميسى

هَيْهَاتَ تُغْفِلُ ذِكْرَنَا الأَيَّامُ ... وَلِمِصْرِنَا البَتَّـارُ والبَسَّامُ
سَيْفَانِ تَرْجُفُ إِنْ رَأَتْ حَدَّيْهِمَا (م) ... الأَرْضُونَ وَالجَوْزَاءُ وَالأَيَّامُ
الهَوْلُ مِنْ حَوْلَيْهِمَا عَبْدٌ، فَكَمْ ... أَمَرَا فَبَادَتْ فِي الوَغَي أَقْوَامُ
وَالمَوْتُ يَكْمُنُ فِيهِمَا ، فَكَأَنَّمَا ... هُوَ أَنفُسٌ وَهُمَا لَهُ أَجْسَامُ
سَلْ فِي المَعَارِكِ كَمْ أَرَاقَا مِنْ دَمٍ ... قَدْ صَفَّقَتْ لَهُمَا بِهِ الأَعْلَامُ
فَكِلَاهُمَا بَطَلٌ يُبَارِكُ بَأْسَهُ ... مِنِثٌ [2] وَتَفْزَعُ مِنْ أَذَاهُ الهَامُ
ثَبْتٌ عَلَى الأَحْدَاثِ يَصْرَعُ بَطْشَهَا ... فَإِذَا بِهَـا فَوْقَ الرَّغَامِ رَغَامُ
قَدْ شَرَّدَ الأَعْدَاءَ فِي البَلْوَي كَمَا ... لَوْ شُرِّدَتْ فِي المَهْمَهِ الأَنْعَامُ
أَيَّامَ يُوغِلُ فِي الدِّمَاءِ حَدِيدُهُ ... ظَمْآنَ لَا يَرْوِي صَدَاهُ حِمَامُ
وَيُجَدِّلُ الأَحْبَاشَ وَالحِيتَاسَ فِي ... سُوحِ الوَغَى فَتُكَبِّرُ الأَهْرَامُ
وَلَقَدْ غَزَا البَسَّامُ فِينِيقِيَا فَمَا ... خَشَعَتْ لِغَيْرِ شَبَاتِهِ الأَفْهَامُ
وَمَشَى بِهِ رَمْسِيسُ يَفْتَتِحُ الدُّنَى ... مِثْلَ القَضَاءِ فُتُوحُهُ أَحْكَامُ
وَالجَدُّ لِلْبَتَّارِ مِنْ سَيْفٍ قَضَى ... أَلَّا يَرَى أَرْضَ العَدُوِّ سَلَامُ
يَسْتَلُّهُ (مِنْتُوحُتِبْ) مِنْ غِمْدِهِ ... فَتَهَابُ حَتَّى فَتْكَهُ الأَصْنَامُ
لٰكِنَّهُ وَالحَرْبُ تَرْعَى بِاسْمِهِ ... فِي قَادِشٍ وَجُيُوشُهُمْ أَغْنَامُ
وَالصَّفُّ بَعْدَ الصَّفِّ مُنْهَارٌ كَمَا ... تَنْهَارُ تَحْتَ القَامَةِ الأَكْوَامُ

(١) هذه القصيدة من أصل فرعونى

(٢) منت : هو إله الحرب عند الفراعنة



كليلة ودمنة

قرأت ما كتبه فى الرسالة (العدد ٤٢٥) الأستاذ عبد السلام محمد هارون فشكرت للكاتب الفاضل حسن رأيه ، وجميل ثنائه وأعجبت بتدقيقه وتحقيقه ، وتلقيت بالقبول والسرور نقده الذى يبين عن صدق النية ، وخلوص القصد فى طلب الحق . وكلنا طلاب علم نسأل الله الهداية والتسديد !

وقد أخذ الأستاذ على الكتاب مآخذ وهذا بيان رأيى فيها :

قال بعد أن ذكر كثرة التحريف فى النسخة المخطوطة ، والجهد الذى بذل فى تصحيحها :

« ونحن فى هذا الصدد نأخذ على الأستاذ أنه لم يتوخ النشر العلمى من إثبات الأصل والتنبيه عليه فقد يكون للقارئ وجه فى التصحيح غير الذى ارتضى . . . وكتاب مثل كتابنا لبس من جلال التاريخ ما لبس جدير بما ذكرت من وجوب بيان أصله للرجوع إليه ووجوب مقارنة نسخه بعضها ببعض »

والجواب أن مذهبي فى النشر ألا أخالف النسخة التى اتخذتها أصلاً إلا حين يتضح غلطها ، وإن كان هذا الغلط فى مواضع قليلة أثبته فى مواضع . أثبته فى الحاشية ليعرف القارئ ما وقع فى أصل الكتاب ؛ ولكن نسخة كليلة ودمنة التى أنشرها مملوءة بأغلاط واضحة كثيرة لا ينال الناشر والقارئ من إثباتها إلا العنت

وأما مقارنة النسخ المختلفة فقد بينت فى المقدمة أن النسخ المطبوعة ، إلا نسخة شيخو ، ملفقة مغيرة تصرف فيها الناشرون كما شاءوا على غير خطة معروفة . ثم بين هذه النسخ كلها بعضها وبعض ، وبينها وبين نسختنا ونسخة شيخو ، ثم بين هاتين النسختين من الاختلاف ما لا يمكن إثباته فى الحواشى بل يختلف السياق أحياناً حتى يحسب القارئ أن أمامه كتباً مختلفة

ثم يرى الأستاذ أن « لغة ابن المقفع فى كليلة ودمنة لغة عالية تعلو على المتأدب والأديب أيضاً فهى محتاجة إلى توضيح وتقييد وبيان ... الخ »

وليس هذا رأياً فى هذه الطبعة التى أريد بها أن تكون فى الأغلب هدية للعلماء والأدباء لا أن تكون كتاباً مدرسياً يؤدب به الناشئون . نعم ربما يستعان بهذا الكتاب على درس أساليب ابن المقفع وأساليب النثر فى عصره ، ولكن هذا بحث آخر لا يتعلق بمقصدنا من نشر الكتاب

ثم أخذ الأستاذ ألفاظاً رأى أنها خالفت الصواب . وقد بينت رأيى فيها على الترتيب الذى ساقه فى مقاله :

١ — ص ٣٦ س ٦ : كالمظم المتعرَّق ، والصواب المتعرَّق بفتح الراء كما قال الأستاذ ، وهى زلة مطبعية فاتت عناية المصحح واجتهاده

٢ — ٨١ : ٥و٦ : « ولكن النفس الواحدة يفتدِى بها أهل البيت ، وأهل البيت تفتدِى بهم القبيلة ... الخ » . قال الأستاذ : الوجه يُفتدَى .

وعلل هذا بقوله : فأهل البيت لا يفعلون الافتداء ، وإنما يفعل بهم ذلك غيرهم ... الخ

ولست أرى هذا الرأى ، فأهل البيت يفتدون أنفسهم ؛ وفى القرآن الكريم : « ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الأرض لافتدت به » . ومثلها آيات أخرى ، فلا وجه للعدول عن المعلوم إلى المجهول . ويؤكد هذا أن اللزوم فى افتدى هو الأصل ؛ وقد عرضت لها التعدية ، ولم ترد فى القرآن إلا لازمة . فالعدول إلى البناء للمجهول عدول عن الأصل لغير سبب

٣ — ٨٧ : ٦ : يقول دمنة للثور : « إن أنت رأيت الأسد حين تدخل إليه ينتصب مقعياً ويرفع صدره ... الخ . فاعلم أنه يريد قتلك ، فاحذره ولا تغتر إليه » . يقول الأستاذ : لا يقال اغتر إليه ، بل اغترَّ به ، ويرى أن الصواب لا تقترب إليه

خَانَتْهُ مِنْ مِنْتُو حُتِبْ يَدُهُ التى   خَارَتْ فَطَارَتْ إِثْرَهُ الأَحْلَامُ

وَاسْتَأْثَرَ الْخِيتَاسُ بِالسَّيْفِ الذى   كانَتْ تُقَدِّسُ مَجْدَهُ الأَعْوَامُ

لَكِنَّنَا وَالْحُزْنُ يَفْرِى رُوحَنَا   مِنْ أَجْلِهِ وَتَهُدُّنَا الآلَامُ

مُتَمَرِّدُونَ عَلَى الزَّمَانِ جَبَابِرٌ   تَرْتَاعُ مِنْ أَهْوَالِنَا الأَيَّامُ

(القاهرة)   عبد الرحمن الخميسى

وقد بينتُ فى المقدمة أن كثيراً مما وقع فى الكتاب من تحريف سببه تغيير العبارات غير الشائعة إلى العبارات الشائعة . وأرى أن كل فعل يعدّى بإلى إذا أريد الانتهاء إلى ما بعده ، أو الركون إليه . فلذلك يقال : استمع إليه ، وجلس إليه ، وسكن إليه . وفى القرآن : « إلى ربك يومئذ المستقر » ... فما رأى الأستاذ فى أن يقال استقرّ إليه ؟ ... فالتعدية : بإلى وعلى ونحوهما جائزة إن كان فى الفعل ما يدل على الانتهاء أو العلو صراحة أو ضمنا . وإنما الكلام فى تعدية الفعل إلى المفعول به ، أيتعدى فيها الفعل بنفسه أو بالباء ... الخ . ومعنى اغتر إليه هنا سكن إليه أو ركن أو نحو ذلك مما يتضمنه معنى الانتهاء أو الركون

٤ — ٩١ : ١٢ (وندفن بقيتها مكاناً حريزاً) . قال الأستاذ وهذه عبارة غير صحيحة والصواب فى مكان حريز . ونقل عن همع الهوامع وشرح الكافية كلاماً فى اسم المكان ، وانتهى إلى قوله : « وليس الدفن من الاستقرار فى شىء فلا ينصب لفظ المكان على الظرفية المكانية » وهذه الجملة تبطل الاحتجاج الطويل الذى نقل له ما نقل عن كتب النحو . فى الدفن إقرار واستقرار ولا ريب ، وأنا أعرف أن فى النسخ الأُخرى : « وندفن الباقى فى أصل هذه الشجرة فهو مكان حريز ، أو ندفن بقيتها فى مكان حريز » ولكنى لا أغير نص الكتاب ولو كان غيره أرجح منه حتى يكون غلطاً واضحاً لا شبهة فيه ، فكيف وليس فيه غلط ولا شبهة الغلط ؟

٥ — ٩٥ : ١٣ « وبلاء يضيّع عند من لا شكر له » قال الأُستاذ وبين اللغويين خلاف فى أن يكون البلاء بمعنى الإنعام ونقل فى هذا كلاماً عن نهاية ابن الأثير ولسان العرب

وليس لازماً أن يكون البلاء هنا بمعنى الإنعام ، بل الأرجح أن يكون بمعنى الاختبار ، والبلاء اختبار بالخير والشر . فكل معروف تصطنعه عند إنسان هو بلاء عنده .

٦ — ٢٢١ — ٥ (ولكن إيش الفائدة) قال الأستاذ : (وهذا ضبط عامى والصواب أيش) . وقد بينت فى المقدمة رأيى فى هذا الباب ولغته وقلت : « بل أرى فيه من الركاكة ومقاربة العامية الخ المقدمة ص ٥٠ » ولم أتبعه إلا اتباعاً لنسخة الأصل واستيفاء للبحث .

وبعد . فالأستاذ مشكور على نقده ، ولعل فيما أجبت به ما يزيل شبهته .

عبد الوهاب عزام

فى مدن الحضارات

أشكر للأستاذ الفاضل كوركيس عواد العراقى ما أبداه من الغبطة بما أكتب فى الرسالة الغراء (عن مدن الحضارات) ، وأنا سعيد لأنه يتابع ما أنشره متابعة الباحث المتمكن ، والقارئ المتفطن ، ولا عجب إذا لفتته مدينة السلام أو دار السلام بما كتبته عنها فقد عرفت مما ينشره فى الرسالة أن بغداد دار إقامته

وللأستاذ الشكر على ما كتبه خاصاً ببركة المتوكل مصححاً به ما توهمت من أنها كانت فى بغداد . ولعل الأستاذ وهو جد قريب من سامراء يحدثنا حديث المؤرخ الثبت عن « المختار » و« البديع » أجل قصورها وعن ساجهما الذى حمل إلى « الجعفرى » وعن « المتوكلية » التى بناها قرب سامراء وبنى فيها قصر « اللؤلؤة »

أما نسبة « جميل نخلة المدور » إلى العراق فهى شائعة عندنا فى مصر ولعلها نسبة جاءت إليه من سبيل كتابته على حاضرة العراق

والحق أننى لم أقرأ ترجمة لهذا الباحث العظيم ، وكل ما قرأت له أوعنه كتابه « حضارة الإسلام » وتقريظ كتبه المرحوم الدكتور يعقوب صروف فى مقتطف شهر مايو سنة ١٨٨٨م . المجلد الثانى عشر صفحة ٥١٥ وفيه عن جميل نخلة المدور أنه (قد ربى منذ نعومة الأظفار على سلامة الذوق ، ورضع آداب العرب والعجم مع اللبن ، وأوتى قريحة وقادة لا تخبو نارها بسلاسة عبارته ، وبصيرة نقادة لا يخفى شرارها بطلاوة نوادره وحسن فكاهته ، وجداً يستسهل المتاعب ، وثباتاً يغلب المصاعب)

ولا تجد فى الطبعات المختلفة التى طبعتها وزارة المعارف المصرية من هذا الكتاب القيم ترجمة مختصرة أو مطولة لكاتبه

ونحن منتظرون تعريفاً بمؤرخ بغداد اللبنانى من الباحث العراقى الأستاذ كوركيس عواد وله الفضل والشكر

أما ورود كلمة « الحرامات » فى مقالى مكان « الحراقات » فذلك خطأ لم أكن — شهد الله — من جناته ، فكيف أصلى بحرّه ؟ والطابعون دائماً يريدون ما لا يريد الكاتبون ؛ وكثيراً ما يحرفون الكلم عن مواضعه ، وإذا كان صاحب المقال معذوراً فى خطأ أُقحم عليه فما عذر القارئ اللبيب ؟

(المنصورة) محمد عبد الغنى حسن

إلى وزارة المعارف

أعلنت وزارة المعارف عن مسابقة القصة فى غضون شهر مايو من هذا العام وحددت يوم ١٥ أكتوبر آخر موعد لقبول قصص المتبارين — ولعل وزارة المعارف راعت فى هذه المواعيد ظروف معلميها وطلبتها دون أن تلتفت إلى عوامل أخرى أكثر أهمية .

ونلاحظ (١) أن المدة كلها واقعة فى الصيف ، والصيف فصل الركود والراحة والاستجمام ، والنشاط فيه محدود ؛ خصوصاً النشاط الذهنى ، والقصة — بحكم طولها — عمل فنى دقيق لا يخلو من مزالق ، ووحدة الموضوع والحبكة الفنية عاملان جوهريان فى كل قصة . لذلك نرى أن الصيف غير ملائم للانتاج القصصى

(٢) المدة قصيرة جداً لا تكفى لإنتاج عمل فنى بارز — وكثير من مشاهير الكتاب العالميين ينتجون قصة كل عامين فكيف تتسع خمسة أو ستة أشهر لكتابة قصة ؟ !

(٣) العالم يعيش الآن على كف عفريت . والظروف التى نعيش فى حلقتها تشغل البال وترهق الأعصاب وتستهلك كثيراً من النشاط الذهنى ؛ فالانتاج الأدبى يستلزم وقتاً أطول مما كان يستلزمه وقت الدعة والسلام . والذى نعرفه أن هذه العوامل صرفت الكثيرين من الأدباء عن التفكير فى مباراة وزارة المعارف . لهذا نعتقد أننا نعبر عن رغبات الكثيرين حين نتقدم إلى معالى هيكل باشا راجين أن يتفضل ويمد أجل المباراة حتى نهاية يناير على الأقل ليتاح للأدباء إنتاج قصص ناضجة تحقق أمل الوزارة .

م . ع . مرسى

إلى الأستاذ محمود الخفيف

حرمت قراءك ومحبى الرسالة من مقالاتك القيمة ، وأسلوبك الممتع . فما الذى حجبك عنا ؟ أنفدت الشخصيات التى تكتب عنها ، أم نسيت منظارك فى القاهرة وأخلدت إلى الريف الحبيب إلى نفسك ؟

أرجو أن تعود سيرتك الأولى ؛ وإنى أنتهز هذه الفرصة فأستوضحك عن الشخصيات التى تكتب عنها هل هى موجودة حقاً ، أم هى عيوب المجتمع ألبستها هذا اللباس فكانت كما رأينا ؟

(أسيوط) زكى عبد الله

الجواب

أشكر لك يا أخى تحيتك ومودتك . أما جوابى عما جاء فى كتابك من تلك الشخصيات فهو أن عملى فيها هو كعمل القصصى الذى يخلق أشخاص قصته ؛ فهى إذاً أشخاص من خلق الخيال ؛ وأحسب أن ذلك هو سبب ما قد يكون لها من قيمة . وما كتبت من شخص بذاته ، وإلا لما استطعت أن أكتب على هذا النحو الذى أرى قوامه الابتكار والخيال .

الخفيف

١ — الألقاب لا تزجل

اطلعت على ما دار بين الأستاذين محمد عبد الغنى حسن وجمال الدين الشيال حول تلقيب الأمير نجم الدين بن أيوب — بالملك الصالح — فرأيت أن أنقل كلمة فيمن لقب — بالصالح — من كتاب (نزهة الألباب فى الألقاب للحافظ ابن حجر العسقلانى — من مخطوطات دار الكتب المصرية) :

الصالح : أول من لقب به من الملوك : طلائع بن رُزِّيك وزير الفاطميين . ثم الصالح إسماعيل بن نور الدين الشهيد . ثم الصالح أيوب بن الكامل بن العادل بن أيوب . ثم لقب به جماعة من الملوك .

٢ — الغبن

جاء فى مقال الأستاذ عبد السلام هارون فى نقد (كليلة ودمنة) بيت المتنخل الهذلى هكذا :

ويله رجلاً تأتى به غبناً   إذا تجرد لا خال ولا بخل

والصواب : تأبى به غبناً ، على ما فى (شرح أدب الكاتب للجواليقى) ص ٢٦٠ حيث قال فى شرح البيت : يقول تأبى به أن تظلم إذا كان معك ... وسبب غلط الأستاذ هارون هو اعتماده على (الاقتضاب للبطليوسى) و (أدب الكاتب) حيث ورد فيهما البيت كذلك مصحفاً .

٣ — العود أحمد

قررت وزارة المعارف فى تركيا إعادة طبع (كشف الظنون) عن نسخة المؤلف مع مَنْهُوات[1] له لم تكن فى الطبعات السابقة ، وإكمال خرم كان فيها ، والإشارة والتنبيه على أغلاط الطبعة الأوربية ، وضم ذيول نادرة إليه للعلماء الأجلة : رئيس الأطباء الشيخ بهجت ، والشيخ محمد أسعد صاحب المكتبة العامة المشهورة فى الآستانة ، والشيخ عارف حكمت شيخ الإسلام صاحب المكتبة العظيمة فى المدينة المنورة ، واسماعيل باشا البحاثة المعروف ، والعلامة اسماعيل صائب مدير مكتبة بايزيد العامة ، رحمهم الله . وقد صدر الجزء الأول منه مطبوعاً بحروف عربية

(١) هى حواش يكتبها المؤلف ويقول فى آخرها : (منه) ، أى من المؤلف



اللیلة الثانیة بعد الألف

سهرة المليونير

قصة عصرية على طراز ألف ليلة وليلة

للأستاذ محمد على غريب

فلما كانت الليلة الثانية بعد الألف قالت شهر زاد : سأقص عليك أيها الملك السعيد قصة سهرة المليونير ، قال الملك شهريار :

— ومن هو المليونير يا شهر زاد ! أهو ملك قبيلة فى الجان ، أم تاجر لؤلؤ فى جزائر واق الواق ؟ !

وتبسمت شهر زاد فكشفت عن أسنان كأنها الدر المنظوم ، ثم قالت : لا هذا ولا ذاك أيها الملك السعيد ، فالمليونير هو صاحب مليون من الدنانير فأكثر

— مليون من الدنانير ! ما هذه الأحاجى أيتها الجارية ! وكم هو عدد المليون ؟

— يعنى ألف ألف دينار يا مولاى . كل من ملك ألف ألف عد مليونيراً . ولنبدأ القصة من أولها . فقد زعموا أنه كان فى مصر شاب اسمه الشاطر « ممدوح » توفى والداه فى حادث قطار بخارى و . . .

— قطار بخارى ؟ ما هذا الكلام المبهم !

— القطار البخارى يا مولاى مركبات تقودها آلة ، وهذه الآلة تتحرك بقوة البخار وتأكل الفحم ، ويسمع لها دوى هائل وهى تسير ؛ فإذا تعرض لها أحد سحقته سحقاً . وقد وقع لأبوى الشاطر « ممدوح » ذلك فأكلهما القطار البخارى كأنهما قطعتان من الفحم

— وهل القطار البخارى يا شهر زاد منسوب إلى بخارَى ، وهل تجره خيول أم بغال ؟

— كلا يا مولاى إنه منسوب إلى البخار : بخار الماء حين يغلى ، ولا تجره خيول ولا بغال ، ولكنه يسير على قضب من حديد . ولنعد إلى الشاطر « ممدوح » فقد أصبح وحيداً فى هذه الدنيا حتى عثرت به سائحة أمريكية

ممتازة فى نحو خمسمائة صفحة فى كل صفحة عمودان ، وأسماء الكتب فى أوائل السطور ويحققه جماعة من الاختصاصيين .

أحمد صفوان

القاموس السياسى

فى الوقت الذى زخرت فيه الصحف بالمباحث السياسية ، واتصلت فيه الحوادث اتصالاً سريعاً بما قبلها من نقط التاريخ الفاصلة ، ومعاهدات الأمم ومواثيقها ، وأسماء الكبار من الساسة ، وحركات المذاهب المتوازية والمتعارضة ، أصدر باحث مصرى مدقق « قاموساً سياسياً » يكون فى هذا الظرف ، وفى كل الظروف بالطبع ، رائد المهتمين بهذه الشئون والمباحث ، ومعيناً لهم على اختصار الوقت ، وضبط المعلومات ، وإدراك الغاية مما يتلمسون البحث عنه فى غيابة المراجع العربية أو فى تيه المصادر الأجنبية

فالقاموس السياسى قد أخذ محله كما أراد له الأستاذ أحمد عطية الله فى صدر المكتبة العربية ، أو فى « جيب » صدارها كما يقول أصدقاؤه ، وأصبح بداية طيبة فى تاريخ هذه المكتبة لنظم الكثير الصالح من أمثال هذا المعجم فى كثير من الأغراض والأبواب

ولسنا نغمط الأستاذ عطية الله حقه إذا قلنا إن هذا القاموس الذى أصدره وإن يكن قد صار اليوم مرجعاً سريعاً للباحث أو القارئ ، إذا ما اعترض أحدهما شأن من الشئون العامة ، فإن افتقاره إلى زيادة العناية بالشئون العربية ، وإلقاء الضوء على الكثير من تلك الروابط القوية التى تجمعها وتحركها يجعل من حق الذين قدروا جهده فى هذا السبيل أن يلفتوا نظره إلى تلافى هذا النقص عند إعادة الطبع إن شاء الله

ويبدو أن شبهة عدم الانسجام فى (الشئون العربية) فى القاموس ظاهرة أيضاً فى بعض ما تناوله من المسائل الدولية والأوربية . على أنه ليس من شك مطلقاً فى أن مثل هذه الشوائب فى كتاب يصدر فى مثل هذا الظرف ، لتغنى به المكتبة العربية فى مثل هذا الباب — كانت متوقعة لأى كاتب ، وذلك لحداثة التأليف فى هذا الموضوع وقلة المراجع ، وصعوبة الحصول عليها . فهذا العمل الذى قام به الأستاذ عطية الله سيظل مشكوراً على كل حال

(أ . ص)

— تقولين أمريكية ! من أى بلاد هى يا شهر زاد ؟

— أمريكا يا مولاى بلاد بعيدة يسكنها الكفار ، وظلت مجهولة حتى عثر عليها رجل اسمه (خريستوف كولمبس) ، وهو كافر أيضاً . وقيل إن العرب كشفوا عنها قبله بدليل وجود مسلمين توطنوا هذه البلاد فى جزر (الفلبين)

وقد ربته هذه السائحة أحسن تربية ، ثم سافرت فأخذته معها إلى أمريكا ، وهناك أيفع واستوى ، فلما ماتت الأمريكية أوصت له بجميع أموالها إذ لم يكن لها أهل يرثونها

— وتوفر الشاطر ممدوح على تنمية ثروته ، فساهم فى صناعة (الأوتوموبيلات) ، وكان هو الذى أعان مخترع (الفنوغراف) على إتمام اختراعه ، وأنشأ محطة للراديو و ...

— حسبك أيتها الجارية ! ما هذه الرطانة التى تذهب العقل ؟

— الأوتوموبيل يا مولاى سيارة تجرى بقوة النفط المكرر

— وحدها ! ؟

— وحدها ... كالقطار البخارى تماماً ، ولكنها لا تسير على قضب من حديد . والفنوغراف صندوق يوضع فيه قرص من الشمع الأسود المنقوش ، وهناك إبرة ممغنطة تدور حول القرص فتسمع الصوت الذى سجل ، فإما غناء وإما موسيقى وإما حديثاً يروى . والراديو آلة تلتقط الأصوات من مكان بعيد ، فلو كان هنا راديو لأمكنك أن تسمع الهمس الذى يدور فى القصر المسحور ، وراء السبعة بحور

— إن كان هذا من صنع الجن فلا غرابة

— كلا يا مولاى ! لم تعد للجن هذه القدرة على الخلق والإبداع ، وملك الجان نفسه أصبح عاجزاً عن أن يكون شيئاً إلى جانب أى عالم من أولئك العلماء المخترعين

— تقولين العلماء ؟ أهؤلاء المخترعون رجال فقه ولغة ودين ؟

— حاشاك الخطأ يا مولاى . فالعلم فى هذا العصر الذى أحدثك عنه لم يعد وقفاً على ذوى اللحى والعمائم ، ولكنه أصبح عنواناً على غيرهم ... حتى أولئك الكفار ! ولنعد إلى الشاطر ممدوح فبعد أن اغتنى وأضحى ذا ثروة طائلة ، تذكر وهو فى بلاد الغربة أن له أختاً تكفل بها أحد أقاربه ولم يكن يعرف عنها شيئاً ؛ فلما طغت عليه موجة الذكريات أنشأ يترنم بهذه الأبيات :

أذكرونا مثل ذكرانا لكم   رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صباً إذا غنى بكم   شرب الدمع وعاف القدحا

ثم فاضت دموعه حتى أصبحت كالأنهار ... وأخيراً قرر أن يسافر إلى مصر فأعد عدته وركب الباخرة

قال الملك :

— وما هى الباخرة يا شهر زاد ؟ أهى القطار البخارى ؟

— قالت شهر زاد :

— أجل يا مولاى ... قطار بخارى يسير فى الماء ويتسع لمئات من الراكبين دون قلوع ولا مجاذيف . وقد اختار الشاطر ممدوح جناحاً له فى الباخرة على أفخم ما يكون من الروعة والجمال ؛ فلما وصل إلى مصر ذهب إلى فندق « الكونتننتال »

— قوليها مرة أخرى ! يخيل إلى أنها رطانة يا شهر زاد !

— الكونتننتال يا مولاىّ ! اسم خان ولكنه فخم كأنه بيت وزير من الوزراء ، وينزل فيه الملوك والأمراء والعظماء ، وتملكه شركة من الأجانب يعرفون كيف يستغلون خيرات مصر دون أهلها الفقراء . وقد نزل الشاطر ممدوح فى هذا الفندق وتقاطر عليه مندوبو الصحف من كل مكان

قال الملك :

— مندوبو الصحف ! وما هى الصحف يا شهر زاد ؟؟

قالت شهر زاد :

— هى جرائد يا مولاى تطبع كل يوم حاملة الأنباء والمعلومات والطرائف ؛ أما كيف تطبع فقد اخترعوا آلة لطباعة الكلمات

— عجباً يا شهر زاد ؟ كأننى أستمع إلى أقصوصة عن الجان !

— حاشاك يا مولاى ! فالإنسانية فى هذه الأيام التى أحدثك عنها تقدمت ، والعقل البشرى نضج فأصبح مخترعاً ، ولكنه لم ينتج من الجمع بين الخير والشر فى اختراعه

— وكيف كان ذلك

— لقد اخترعوا كل ما يضمن أسباب الراحة والهناءة للإنسان ، ولكنهم اخترعوا كذلك المدمرات المهلكات ... فإن قنبلة فى حجم الكف قادرة على أن تدمر بناء من عشرين دوراً . وهناك غازات سامة ما يكاد الإنسان يستنشقها حتى يموت ، وقذائف من كل صنف تحملها الطائرات فى الجو والسابحات فى البحر

— وى ! كأنى أسمع عما يحدث فى يوم القيامة ...

— هذا هو الواقع يا مولاى . فالمدنية التى استحدثها الفرنجة تحمل عناصر هدمها ... ولنعد إلى الشاطر ممدوح فإنه لم يكد يستقر به المقام حتى بث العيون والأرصاد تفتش له عن أخته التى تركها صغيرة

وبعد أيام عاد إليه عين من عيونه التى أطلقها يقول ...

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

***

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الألف قالت شهرزاد : بلغنى أيها الملك السعيد أن عيناً من عيون الشاطر ممدوح عاد إليه يقول : إنه عرف مكان أخته « نفيسة » ، ولكنه يعتذر عن التفوه بكلمة مما بلغه عنها

وعندئذ غضب الشاطر ممدوح واشتد غيظه ، فأمسك بالجاسوس من رقبته يريد أن يخنقه قائلاً :

— إن لم تقل لى — أيها الكلب — ما هنالك قذفت بك من النافذة ... !

وخاف الجاسوس على حياته عندما رأى روح الشرف الليونير فوعده بأن يقول . ثم راح يتحدث قائلاً : إنه لم يصر على الصمت إلا رغبة منه فى عدم إزعاج الشاطر ممدوح ، فإن أخته بعد وفاة والديها ، تولى تربيتها أحد أقربائها ، وقد ظلت فى كفالته خمس سنوات ذاقت فيها الويل والعذاب من زوج قريبها التى كانت تضربها لأتفه الأسباب ... وأخيراً ، هربت من ذلك الجحيم ، سارت على وجهها حتى لقيها ذئب بشرى ... فاختطفها وراح يعلمها السرقة ، وهى صغيرة لا تكاد تميز ... ثم كبرت ونضجت أنوثتها ... فتزوجت أفاقاً راحا معاً يغامران فى الحياة ويتظاهران بالوجاهة والأناقة ...

وبعد أن سمع الشاطر ممدوح هذه المعلومات استغرق فى سبات عميق ... ثم انهمرت دموعه على خديه ، وأصبح كالمجنون لا يستقر على حال . وأخيراً فكر فى طريقة ، فدعا إلى مأدبة ساهرة ، وما حل موعدها حتى كانت الموائد قد نسقت ، وأقداح الشراب قد اعتدت ... شراب : الكونياك والويسكى والشمبانيا والبيرة وما هنالك من أصناف ...

قال الملك :

— ما هذه الأسماء يا شهر زاد ؟

— أسماء لأشربة يا مولاى اخترعها الفرنجة للخمر وكلها مسكر والعياذ بالله . ثم زين مكان الحفلة بالثريات الكهربائية ، والأوراق الملونة ، ووقف الخدم فى ثيابهم الزاهية ... وما حان الموعد حتى توافد المدعوون من كل جانب فى ثياب السهرة ... وكانت السيدات متزدانات بالحلى ، وقد كشفت كل واحدة عن مفاتنها ، فبدا جسدها العارى وصدرها المكتنز ...

قال الملك :

— أمام الناس !

— أجل يا مولاى أمام الناس ، فما من ضير فى هذا بعد أن شاع السفور وتواضع الناس على اختلاط الجنسين ، وحتى المصريات كن بهذه الأزياء . ثم دار الرقص فتخاصر الجنسان كل رجل مع سيدة يرقصان « الرومبا » و « الفوكس تروت »

قال الملك :

— عجب ! ... وهل يرقص الرجال !

فأجابت شهرزاد :

— نعم ! ... إنهم يرقصون طوعاً للمدنية الحديثة التى ترى فى الرقص نوعاً من أنواع الرياضة

وعندئذ أشار الجاسوس للشاطر ممدوح على سيدة ومعها رجل يرقصان . وقال له :

— هذه أختك ... والذى معها هو زوجها وهو أكبر محتال فى الوجود

واقترب ممدوح من أخته ، وفجأة أطفئت الأنوار ، وبعد قليل أضيئت ، وتفقد سيدات كثيرات حليهن فلم يجدنها ، وكان ممدوح قد رأى أخته وهى تخفى فى حقيبة يدها حلياً ، فحار فى أمره . لا بد أن تفتش ، ولابد أن تظهر أنها السارقة ، فهل ينقذها . ويعمل على خلاصها لأنها أخته ، أم يتركها تفضح دون أن يكشف لها عن حقيقة نفسه !

تنازعته عواطف مختلفة وتآمرت عليه الانفعالات الشديدة هل ينقذها ؟ هل يتركها ؟ هذان هما السؤالان البارزان فى رأسه ! وأخيراً راح يعمل على تنفيذ أحد الاقتراحين اللذين عرضا فى ذهنه

وأدرك شهر زاد الصباح فسكت عن الكلام المباح .

محمد على غريب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)